ساحر الكتب

32

روايات مصرية

المتسلسل

د. نبيل فاروق

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الفصل الأول

ساد هدوء شديد تلك المنطقة ، على مشارف (أبو روَّاش)(*) ، حيث مزرعة الثرى المعروف (أدهم الفيومى) ...

وعلى الرغم من ذلك الهدوء الشديد ظاهريًا ، فلو أنك تجاوزت بوَّابة المزرعة ، متجهًا إلى فيلا (الفيومى) ، فستجد فى طريقك كلبى حراسة ، من النوع الألمانى الضخم ، وقد استلقيا أرضًا، فى سبات عجيب ، وإلى جوارهما بقايا قطع من لحم طازج ، امتزج بكمية كبيرة من حبوب منومة قوية ...

وعلى مسافة متر واحد من مدخل الفيلا ، كان هناك خفير يجلس على مقعد قديم ، ولكن رأسه ملقى على صدره ، موحيًا بنوم شديد ، أو غيبوبة عميقة ...

أما من شرفة الفيلا فى الطابق الثانى ، فقد كان هناك حبل يتدلى ، معلقًا بخطاف صغير قوى من ذلك النوع الذى تستخدمه القوات الخاصة فى المعتاد ...

وإلى جوار تلك الشرفة، كانت هناك نافذة مضاءة ...

إنها نافذة الحمام الخاص الملحق بحجرة نوم (أدهم) نفسه ...

وفى ذلك الحمام كان الموقف يثير الرعب ...

(*) أبو روَّاش : إحدى القرى التابعة لمركز (كرداسة) فى محافظة (الجيزة) ، تشتهر بتجارة الحيوانات ، وهى موقع أثرى ، على بعد ستة كيلومترات ، من مدينة (الجيزة) ، ويحترف سكانها صيد وبيع الحيوانات والزواحف المفترسة والسامة .

(أدهم) مقيَّد فى إحكام ، يرقد بكامل ثياب نومه ، داخل البانيو الكبير ، متطلعًا فى رعب ، إلى رجل متين البنيان ، شديد الهدوء إلى حد البرود ، يرتدى قناعًا أسود ، يخفى ملامحه كلها ، ويميل نحوه ؛ ليفتح صنبور المياه عن آخره ...

ومع تدفق المياه فى البانيو ، هتف (أدهم) :

ـ أخبرنى ماذا تريد بالله عليك !!

لم يجبه المقنَّع ، وهو يحضر سلكًا طويلًا ، يوصل طرفيه بمقبس الكهرباء ، على نحو جعل صوت (أدهم) يبدو متوسلًا ضارعًا :

ـ لو أنك تبغى مالًا ، فلدى بعضه هنا ... سأعطيك الأرقام السرية لخزانتى الخاصة ... وسأرشدك إلى مكانها ... ستجد بها ما لا يقل عن مائة ألف ... كلها لك ... ولكن ارحل.

لم يبال به المقنع مطلقًا ، وكأنه حتى لا يسمعه ، وأمسك طرفى السلك ، ومسهما لحظيًا سريعًا ، فانطلقت من نقطة تماسهما شرارات صغيرة ، تشير إلى أنهما موصولان جيدًا بالكهرباء ...

ثم اتجه بهما نحو البانيو ، الذى امتلأ تقريبًا بالمياه ، وغمر جسد (أدهم الفيومى) كله ، فصرخ هذا الأخير :

ـ لو أن هذا لا يكفيك ، سأعطيك مليونًا ... بل مليونين ... ثلاثة ... خمسة ... لكن أرجوك ... اتركنى ... أرجوك .

توقف المقنع ممسكًا بطرفى السلك على بعد خطوة واحدة من البانيو ، يتطلع إلى (الفيومى) فى صمت بارد ، جعل هذا الأخير يبكى فى انهيار :

ـ أرجوك .

وبدون أية مشاعر ، أو ذرة من التعاطف ، ألقى المقنع طرفى السلك فى البانيو ، ليسرى التيار الكهربى منهما ، عبر المياه الباردة ، إلى جسد الفيومى ، الذى أطلق شهقة مفزعة ، وجسده ينتفض فى قوة ...

وينتفض ...

وينتفض ...

والأضواء كلها تتراقص فى عنف ...

وتفجرت لمبة السقف ...

ثم هدأ انتفاض جسد (الفيومى) ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ورسم الموت أبشع ملامح الفزع والألم على وجهه ...

ودون أدنى انفعال استدار المقنَّع ، وأخرج من جيبه قصاصة من صحيفة قديمة ، ثبتها بدبوس رسم صغير ، على باب الحمام ، قبل أن يغادر المكان بكل هدوء ، تاركًا خلفه جثة رجل أعمال ، كان يومًا شهيرًا ...

وحيًّا ...

***

تطلع رجلا الشرطة (حاتم رشدى) ، و(على شكرى) إلى جثة (الفيومى) ، والأوّل يغمغم فى أسف :

ـ ما من شك فى أنه قتل متعمَّد .

وافقه (على) :

ـ القاتل حتى لم يحاول إخفاء هذا ... تركه مقيدًا فى البانيو ، وترك حتى الحبل ، الذى استخدمه فى الصعود ، مثبتًا فى الشرفة ...

غمغم (حاتم) :

ـ وهل ترك بصماته أيضًا ؟!

أشار (على) بيده :

ـ رجال الأدلة الجنائية يبحثون عن هذا .

ألقيا نظرة أخرى على مسرح الجريمة ، قبل أن تتوقف عينا (على) على قصاصة الصحيفة القديمة المثبتة فى الباب ، فاتجه إليها يقرؤها ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ إنه يخبرنا بسبب القتل .

اتجه نحوه (حاتم) :

ـ فى هذه القصاصة ؟!

أجابه فى اهتمام ، محاولًا عدم لمس القصاصة :

ـ إنه خبر عن اتهام (أدهم الفيومى) بقتل زوجته السابقة ... سقط منها السيشوار فى البانيو ، أثناء استحمامها ، وصعقها التيار الكهربى .

انعقد حاجبا (حاتم) ، وهو يطالع الخبر فى القصاصة القديمة ، ثم أدار عينيه إلى الجثة المسجاة فى البانيو ، متمتمًا :

ـ نفس الطريقة .

تابع (على) فى اهتمام :

ـ لم تستطع النيابة إثبات الاتهام على (الفيومى) ، فتمت تبرئته لغياب الأدلة .

ثم التفت إليه :

ـ ولم يرق هذا لأهل الزوجة بالطبع .

انعقد حاجبا (حاتم) ، وأشار بسبَّابته :

ـ لدينا سبب محتمل للقتل إذن ...

وبدا صوته صارمًا حازمًا :

ـ الانتقام ...

« بالنسبة لى ، أنا واثقة من أنه قتلها ... »

قالتها الصحفية (إلهام رأفت) فى حزم واثق ، وهى تشير بيدها ، فمال (على) نحوها ، فى حزم مماثل :

ـ ولكن القضاء برّأه .

أشارت بيدها فى حنق :

ـ القضاء يحتاج إلى أدلة ، ووسيلة قتل كهذه ، لا تترك أدلة واضحة .

تراجع فى مقعده :

ـ القصاصة التى وجدناها فى مسرح الجريمة تحمل توقيعك .

أومأت برأسها :

ـ بالطبع ... أنا كتبتها منذ خمس سنوات .

غمغم :

ـ بعد الحادث مباشرة ؟!

أجابته فى إصرار :

ـ نعم ... بعد (الجريمة) مباشرة .

ضغطت حروف كلمة (الجريمة) ، فتطلع إليها لحظات :

ـ ألم يحاول (الفيومى) أيامها مقاضاتك ؟!

أجابته فى حسم :

ـ لو كان واثقًا من براءته لفعل .

سأل فى هدوء :

ـ لماذا لم يفعل فى رأيك ؟!

أشارت بيدها :

ـ خشى أن يعيد هذا فتح القضية ، أو تثير التحريات الصحفية التى جمعتها كل الشكوك حوله .

هزَّ كتفيه :

ـ أى رجل أعمال لا يرغب فى إثارة الأقاويل من حوله .

مالت نحوه :

ـ اسمع يا حضرة الضابط ... لست وحدى من تثق فى أنه قد قتل زوجته عن عمد ... أسرتها أيضًا واثقة من هذا ... طبيعة شخصيته الأنانية الشرسة ، التى تسعى للاستحواذ على كل شىء .

صمت لحظات ، متطلعًا إليها :

ـ هل تعتقدين أن أسرتها سعت للثأر منه ؟

تراجعت مستنكرة :

ـ بعد خمس سنوات ؟!... ثم من الذى سيسعى لهذا ... والدها شيخ قعيد ، ووالدتها عجوز متدينة ، احتسبت ابنتها عند الله سبحانه وتعالى ،

وشقيقها الوحيد هاجر إلى (إيطاليا) ، من قبل زواجها حتى ، فمن منهم سيسعى لهذا ؟!

قال فى هدوء :

ـ لهذا استدعيتك ، فقد تكون لديك أية معلومات أخرى ، يمكن أن تفيد التحقيق .

تطلعت إليه بضع لحظات فى صمت ، ثم مالت عبر المائدة التى تفصلهما :

ـ لو أنه لدى أية أدلة يمكن أن ترشد إلى القاتل لما قدمتها لكم .

هتف فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!... هل ترفضين مساعدة العدالة ؟!

تراجعت فى مقعدها :

ـ ما أقوله لك هو العدالة .

وقسا صوتها ، على نحو عجيب :

ـ (أدهم الفيومى) كان يستحق القتل ... عن جدارة .

ولم تصدق أذناه ما يسمعه منها !!...

ففتاة جميلة رقيقة مثلها ، يصعب أن تسمع منها كلمات تحمل كل البغض كهذه ...

يصعب كثيرًا ...

جدًّا ...

* * *

هزَّ (حاتم) رأسه فى إرهاق ، وأسبل جفنيه ، وهو يجلس خلف مكتبه

ـ إنها على حق يا (على) .

ثم أسند رأسه على ظهر مقعده :

ـ مستحيل أن يكون القاتل تابعًا لأسرة زوجة (الفيومى) السابقة ، وعلى عكس حكم القضاء ، مراجعتى لقضية قديمة جعلتنى واثقًا من أنه قتل زوجته

سأله (على) فى إرهاق مماثل :

ـ كيف أصدرت المحكمة قرارًا بتبرئته إذن ؟

قلب كفه :

ـ الشك يئول دومًا لصالح المتهم ، والسيشوار فى مسرح الجريمة آنذاك ، لم يحمل سوى بصمات الزوجة .

انعقد حاجبا (على) ، وهو يفكر لحظات ، ثم رفع عينيه إليه :

ـ أليس من المفترض أن الماء يمحو البصمات فى المعتاد ؟!

اعتدل (حاتم) فى اهتمام :

ـ بلى ... هذا ما درسناه .

مال نحوه :

ـ والمفترض أن سبب الوفاة هو الصعق بالتيار الكهربى بسبب سقوط السيشوار فى الماء .

وحمل صوته بعض الحزم :

ـ فكيف وجدوا بصمات الزوجة عليه إذن ؟!

التقى حاجبا (حاتم) ، وتبادل نظرة صامتة مع (على) ، وفى رأس كل منهما ، نبتت فكرة واحدة ...

هناك شىء غامض ، فى هذه الجريمة القديمة ...

شىء يحتاج إلى تفسير ...

تفسير .. قد يقود إلى تحديد هوية القاتل فى الجريمة الجديدة ...

نقول قد ...

فقط قد ...

* * *

وضعت سيدة الأعمال الشهيرة (جيلان سمير) يدها على شفتيها ، وهى تصدر صوتًا عبثيًا ، مع رائحة الخمر ، التى تفوح بها أنفاسها ، والتفتت إلى حارسها الخاص ، صاحب العضلات المفتولة ، محاولة أن تتماسك :

ـ وصلنا إلى الشقة ... يمكنك أن تنصرف الآن ... عد فى التاسعة غدًا ؛ فعلينا أن نصل إلى (بورسعيد) فى الحادية عشرة .

أومأ الحارس الخاص برأسه ، وهو يراقبها فى حذر :

ـ كما تأمرين يا مدام .

راقب محاولاتها العبثية ، لدس المفتاح فى ثقب الباب ، مع ارتجافة يدها ، ثم تجرأ أخيرًا ، والتقط المفتاح منها :

ـ اسمحى لى .

تركت له المفتاح ، وهى تلتفت إليه :

ـ ألم تنصرف بعد ؟!

فتح باب الشقة ، وناولها المفتاح :

ـ سأنصرف على الفور .

تركها وانصرف بالفعل ، فى حين دفعت هى باب الشقة ، ودلفت إليها ، وأغلقت الباب خلفها ، وابتسمت مترنحة :

ـ يبدو أننى قد تركت الأضواء مضاءة مرة أخرى .

كانت تتجه نحو حجرة نومها ، عندما برز أمامها رجل مقنع متين البنيان فجأة ، فتراجعت مذعورة ، وتبخَّر أثر الخمر من رأسها ، وهى تهتف :

ـ من أنت ؟!... كيف دخلت هنا ؟!

وبدون كلمة واحدة ، انقض المقنع عليها ، وهوى على رأسها بهراوة قصيرة ، فى ضربة فنية ، أفقدتها الوعى على الفور ...

لم تدرك كم ظلت فاقدة الوعى ، ولكنها استعادت وعيها ، لتجد نفسها مقيَّدة إلى مقعد كبير من مقاعد الصالون ، ومكممة الفم ...

وعلى بعد خطوات قليلة منها ، كان ذلك المقنَّع هناك ...

كان يذيب كمية كبيرة من مادة بيضاء ، فى ماء عادى ، ثم يسحب المزيج فى محقن كبير ، بقياس عشرة سنتيمترات من السائل ...

وفى هدوء، اتجه بالمحقن نحوها ...

واتسعت عيناها عن آخرهما ...

فهى تعرف ماهية تلك المادة البيضاء جيدًا ...

وتعرف ما يمكن أن تفعله بها هذه الكمية منها ...

وفى قوة ، راحت تهز رأسها ، والكمامة على فمها تحجب صرخاتها ، فى حين مال ذلك المقنَّع نحوها ، وكشف عن ذراعها ، فقاومت فى عنف شديد ، حتى إن مقعد الصالون الكبير انقلب بها أرضًا ...

وعلى الرغم من عنف السقوط ، راحت تهز رأسها فى عنف ، وتصدر أصواتًا عجيبة ، وهمهمات مؤلمة ، من خلف كمامتها ...

ولكن عينى ذلك المقنَّع ظلتا جامدتين ، وهو ينحنى عليها ، ويكمل كشف ذراعها ...

وهنا ، تحوَّلت همهماتها ، إلى ما يشبه البكاء ، وأطلَّت من عينيها المذعورتين نظرة استعطاف واسترحام ...

ولكن المقنَّع لم يبال ، وهو يدس إبرة المحقن فى عروقها ...

وانتفض جسدها فى رعب هائل ...

ودفع هو السائل كله فى عروقها ...

ودفعة واحدة ...

وهنا اتسعت عيناها عن آخرهما ...

وانتفض جسدها فى عنف ...

ثم زاغت عيناها ...

وخرجت من حلقها حشرجة عجيبة ...

وبعدها تراخى جسدها تمامًا ...

وانقلبت عيناها ...

وانتهى كل شىء ...

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة تقريبًا ، عندما ارتفع رنين هاتف (حاتم) ، على نحو أيقظه من نومه ، فالتقط الهاتف ، وحمل صوته إرهاقًا واضحًا :

ـ ماذا هناك يا (على) ؟!

أتاه صوت (على) عبر الهاتف :

ـ إنه هو .

اعتدل :

ـ هو من ؟!

أجابه فى انفعال :

ـ ذلك القاتل ... لقد عاد مرة أخرى .

ظلت ملامح (حاتم) تشف عن إرهاقه ، وهو يتثاءب ، داخل شقة (جيلان) ، على نحو جعل (على) يسأله مشفقًا :

ـ ألم تنم جيدًا أمس ؟!

اكتفى بهز رأسه نفيًا ، ثم أشار إلى جثة (جيلان) :

ـ ماذا هذه المرة ؟!

أجابه (على) ، وهو يراقب رجال الأدلَّة الجنائية ، يقومون بعملهم :

ـ الطب الشرعى يمكن أن يحسم هذا ، ولكن الأدلة الموجودة هنا ، يمكنها أن تخبرنا عن وسيلة القتل .

قاده إلى مائدة صغيرة :

ـ هذا الوعاء يحوى كمية كبيرة من الهيروين(*) ، مذابة فى الماء ، وهناك محقن كبير ، مازال مغروسًا فى أوردة الضحية ، المقيَّدة والمكممة .

والتقط نفسًا عميقًا :

ـ إنه قتل بجرعة فائقة متعمَّدة ، كما يبدو ظاهريًّا .

تطلع (حاتم) إلى الجثة مرة أخرى ، ثم إلى الوعاء ، وعاد يتثاءب :

ـ طريقة عجيبة للقتل .

وافقه (على) بإيماءة من رأسه :

ـ من الواضح أن هذا القاتل يحاول تقليد أفلام الرعب الأمريكية .

غمغم :

ـ لم أمل إليها أبدًا .

أشار (على) إلى الجثة :

ـ ولكن من الواضح أنه يعشقها .

صمت (حاتم) لحظات ، قبل أن يسأله :

ـ ومن أدراك أنه القاتل نفسه ؟!... أهناك ما يربط (جيلان سمير) ، هذه بـ (أدهم الفيومى) ؟!

هزَّ رأسه :

ـ لم نبحث بعد ، وربما لا نجد أية صلات مباشرة .

(*) الهيروين : مخدر قوى ، للجهاز العصبى المركزى ، مركَّب شبه قلوى ، ينتج من دمج جزىء (أستيل) ، فى مركَّب (مورفين) ، واسمه العلمى (دايمورفين) ، أو (دايستلمورفين) ، ويسبب إدمانًا جسميًّا ونفسيًّا قويًّا .

تثاءب ، وهو يسأله :

ـ ماذا إذن ؟!

أشار (على) إلى باب الشقة من الداخل :

ـ هذه .

التفت (حاتم) إلى حيث يشير (على) ، ورأى قصاصة صحف قديمة ، ملصقة بالباب من الداخل ، فغمغم :

ـ هنا أيضًا .

قاده (على) نحو القصاصة :

ـ إنه مقال حول عدد وفيات الشباب ، بسبب جرعات مخدرة زائدة ، والمقال يوجه أصابع الاتهام إلى سيدة أعمال شهيرة ، لم يذكر اسمها ، تتزعَّم خفية شبكة كبيرة ، للاتجار بالمخدرات ... والمقال يحوى إشارات إلى (جيلان سمير) .

انعقد حاجبا (حاتم) ، وهو يغمغم :

ـ تجارة مخدرات ؟!

ثم سأله فى اهتمام :

ـ من أبلغ عن الجريمة ؟!

أشار (على) إلى شاب مفتول العضلات ، عريض الصدر ، يقف بين اثنين من رجال الشرطة :

ـ حارسها الخاص ... كان من المفترض أن يأتى إليها فى التاسعة ؛ لارتباطها بسفر إلى (بورسعيد) ، فلما طرق الباب عدة مرات ، وحاول الاتصال بها أكثر

من مرة ، دون أية استجابة ، استعان بحارس العقار ، وحطما الباب ، ليجداها فى هذا الوضع .

تطلع إليه (حاتم) لحظات :

ـ ألا يحتمل أنه من فعلها ؟!

غمغم (على) :

ـ لم أستجوبه بعد .

ثم استدرك ، فى صوت منخفض :

ـ ولكن لو أن قاتل (جيلان) ، هو نفسه قاتل (الفيومى) ، فيمكننا استبعاد كتلة العضلات هذا .

ألقى (حاتم) نظرة أخرى على الحارس الخاص ، ثم غمغم :

ـ ألا يوجد رابط آخر بين الجريمتين ؟!

أشار (على) إلى الباب :

ـ قصاصة الصحيفة .

ثم مال نحوه :

ـ إنها أيضًا تحمل توقيع (إلهام رأفت) .

وانعقد حاجبا (حاتم) فى شدة ...

فمن المستحيل أن تكون مجرَّد مصادفة ...

من المستحيل تمامًا .

* * *

الفصل الثانى

ارتسمت دهشة حقيقية على وجه (إلهام) ، وهى تحدق فى (على

و (حاتم) :

ـ (جيلان سمير) أيضًا ؟!

أجابها (حاتم) فى هدوء :

ـ متهمة أخرى فى مقالاتك الصحفية برأتها المحاكمة .

قالت فى حدة :

ـ اقرأ ملفها جيدًا أيها الضابط ... القضاء برَّأها ؛ لأن الأدلة اختفت

كل ما تم تسجيله فى الأوراق ، لم يعد له وجود .

تراجع (على) فى مقعده :

ـ غياب الأدلة مرة أخرى .

اعتدلت (إلهام) :

ـ هل تدرك حجم أرباح تجارة المخدرات ؟!

هزَّ كتفيه :

ـ ملايين .

أطلقت ضحكة عصبية :

ـ هذا ما يربحه تجار التجزئة ، أما الكبار ، فأرباحهم بالمليارات .

تقارب حاجبا (حاتم) :

ـ مليارات أو تريليونات ، ما شأن هذا بما تقولين ؟!

ضربت سطح المكتب بقبضتها :

ـ (جيلان) دفعت رشوة كبيرة ، لإخفاء أدلة اتهامها .

قال (على) ، فى شىء من الصرامة :

ـ لهذا قتلتها ؟!

بدا عليها الغضب :

ـ تقاريركم تقول : إنها قتلت ، ما بين الثانية والثالثة صباحًا .

تمتم (حاتم) :

ـ هذا صحيح .

حمل صوتها نبرة تحدٍّ :

ـ وحفل توزيع جوائز مهرجان الفن ، الذى نلت فيه جائزة خاصة ، أمام مئات الشهود ، انتهى فى الثالثة والربع .

تبادل الضابطان نظرة صامتة ، ثم قال (حاتم) :

ـ ربما لم يتم القتل على يديك .

فوجئ بها تقول ، بنفس النبرة المتحدية :

ـ ربما .

ثم نهضت فى حزم :

ـ وحتى تعثروا على القاتل المحترف ، ويعترف بأننى وراء هذا ، سأعود إلى عملى فى الجريدة .

ووضعت كفيها فى وسطها :

ـ أم أن لكما رأيًا آخر !!

اعتدل (على) مبتسمًا :

ـ يمكنك الانصراف .

اتجهت نحو الباب ، وما إن أمسكت مقبضه ، حتى أضاف :

ـ إلى أن نجد قاتلك المحترف .

وقفت لحظة ، دون أن تلتفت إليه ، ثم فتحت الباب ، وغادرت ، وصفقت خلفها فى عنف ، جعل (حاتم) ، يتمتم :

ـ متعالية للغاية !

ابتسم (على) :

ـ بل شديدة الثقة بنفسها .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يتساءل (حاتم) :

ـ هل تعتقد أنها مجرد مصادفة أن يكون الضحيتان من نتاج مقالاتها الصحفية ؟!

غمغم (على) :

ـ لم يحن وقت حسم الأمور بعد .

أشار بيده :

ـ ولكن علينا وضع افتراضات ؛ لنسير خلفها .

صمت (على) لحظات ، مفكرًا :

ـ لست أظن أن بنيتها الضعيفة هذه ، كانت قادرة على التغلب على شخص بضخامة (الفيومى) .

هزَّ كتفيه :

ـ ربما هناك من يعاونها .

ابتسم (على) :

ـ هل تبدو لك كزعيمة عصابة ؟!

بدا (حاتم) صارمًا :

ـ وهل كانت (جيلان سمير) تبدو كزعيمة شبكة كبرى للاتجار بالمخدرات ؟!

اعتدل (على) :

ـ ولكن لماذا تفعل هذا ؟!

هزَّ كتفيه :

ـ ربما أرادت لعب دور المنتقم ، وحامى حمى العدالة .

ابتسم (على) للفكرة :

ـ تبدو لى كقصة فيلم سينمائى من أفلام الدرجة الثالثة .

مال (حاتم) نحوه :

ـ وماذا لو أن هناك ، من يقوم بالأعمال القذرة من أجلها ... صديق ، عاشق ، معجب ... أو حتى مريض نفسى ، خيل إليه أنه يستطيع التقرب إليها بما يفعله ؟

تراجع (على) فى مقعده :

ـ كل هذا وارد .

مال نحوه أكثر :

ـ وكل هذا يحتاج إلى بحث .

غمغم (على) فى تفكير :

ـ بحث عن صديق أو عاشق أو معجب ... لن يكون هذا سهلًا .

اعتدل (حاتم) فى صرامة :

ـ ولن يكون مستحيلًا أيضًا .

تطلع إليه (على) بضع لحظات ، ثم اعتمد على راحتيه ، لينهض من خلف مكتبه فى حزم :

ـ فليكن ... دعنا نبدأ إذن .

« ماذا تفعلين ؟!... »

ألقى (خيرى رضوان) زميل (إلهام) فى القسم هذا السؤال عليها ، وهو يراها منهمكة فى العمل على الكمبيوتر ، فغمغمت دون أن تلتفت إليه :

ـ أحاول إيجاد رابط ما ، بين (أدهم الفيومى) و(جيلان سمير) .

جذب مقعدًا ، وجلس إلى جوارها :

ـ كلاهما فى عالم الأعمال .

غمغمت :

ـ هذا ليس رابطًا .

هزَّ كتفيه :

ـ ربما تجدين بعض المناسبات أو المقابلات ، أو ربما الحفلات التى جمعتهما معًا .

تنهَّدت ، والتفتت إليه :

ـ مع عشرات من رجال الأعمال وأهل الفن والسياسة .

ثم عادت إلى الكمبيوتر :

ـ أبحث عن رابط شخصى .

صمت لحظات مفكرًا ، ثم غمغم فى خفوت حذر :

ـ ربما كانا يتشاركان فى تجارة المخدرات .

توقفت أصابعها دفعة واحدة ، واستدارت تحدق فيه :

ـ (خيرى) ... هل تعتقد هذا ؟!

مطَّ شفتيه :

ـ مجرد اقتراح ... كلانا يعلم أن (جيلان) كانت زعيمة شبكة كبرى للمخدرات ، و (الفيومى) كانت لديه مزرعة كبيرة ، فى (أبو روَّاش) ... فربما ...

أكملت فى حماس :

ـ كانت (جيلان) تخزن مخدراتها هناك .

هتف :

ـ مجرد تصور .

بدت شديدة الحماس :

ـ ولكنه يوجد الرابط الذى أبحث عنه .

تطلع إليها لحظات ، ثم مال نحوها :

ـ حبيبتى ... هذا مجرد افتراض .

أبعدت رأسها فى حركة حادة ، وحمل صوتها نبرة مستنكرة :

ـ حبيبتك ؟!

ارتبك :

ـ مجرد كلمة .

أومأت برأسها متفهمة :

ـ بالطبع ... لا ينبغى أن نبتعد عن أساس الموضوع .

أبعد نفسه عنها قليلًا فى ضيق :

ـ مازلت أراه مجرد افتراض .

عملت أصابعها فى سرعة على أزرار الكمبيوتر :

ـ ربما لو بحثنا قليلًا ...

قاطعها ، وهو ينهض فى صرامة :

ـ ربما .

قالها ، وغادر الحجرة ، دون أن يلتفت إليها ، فتابعته بنظرها فى دهشة مستنكرة ، ثم عادت إلى الكمبيوتر :

ـ نعم ... ربما ... لم لا ؟!

وراحت أصابعها تعمل فى سرعة أكبر ...

بكثير ...

***

ألقى (حاتم) ورقة أمام (على) ، وهو يقول فى ضيق واضح :

ـ الأدلة الجنائية عثرت على هذه البصمة ، فى شقة (جيلان) .

التقط (على) الورقة فى اهتمام :

ـ وأين عثروا عليها ؟!

ألقى نفسه على مقعد قريب :

ـ على فرشاة شعر ، فى حمام حجرة نومها .

تطلع إليه (على) فى حيرة :

ـ ولماذا يبدو الضيق عليك هكذا ؟!

أشار بيده :

ـ لأنه يسخر منا .

سأله فى اهتمام :

ـ من هو ؟!

أجابه فى حنق :

ـ القاتل .

تطلع إليه (على) قليلًا فى حيرة، ثم مال نحوه :

ـ هل قارنوا تلك البصمة ؟!

هتف :

ـ وهذا ما يحنقنى .

ومال نحوه :

ـ إنها بصمة (أدهم الفيومى) .

تراجع (على) فى دهشة :

ـ بصمة (الفيومى) ؟!...

ثم عاد يعتدل فى انفعال :

ـ أهذا يعنى أنه كانت هناك علاقة ما ، ما بين (الفيومى) و (جيلان) ؟!

هزَّ (حاتم) رأسه فى شدة :

ـ لم تكن هناك أية صلة بينهما .

انعقد حاجبا (على) :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

أشار بيده :

ـ (الفيومى) لم يغادر مزرعته ، منذ أكثر من شهر ، وكاميرات المراقبة ، فى مدخل بناية (جيلان) ، لم ترصد قدومه مرة واحدة ، لا خلال هذا الشهر ، أو فى أية مرحلة أخرى ... أضف إلى هذا أن خلايا البشرة ، التى وجدوها على الفرشاة ، مازال بعضها حيًا ، مما يوحى بأنه لم يمض عليها سوى أيام ، أو ربما ساعات قليلة .

تساءل (على) :

ـ وكل هذا يشير إلى ماذا ؟!

أجابه فى حزم :

ـ إنه يسخر منا .

ثم اعتدل مستدركًا :

ـ القاتل وضعها عمدًا هناك ؛ ليخبرنا أنه هو نفسه ، من قتل (الفيومى)

انفرجت شفتا (على) ؛ ليقول شيئًا ما ، إلا أنه عاد يضمهما ، وهو يتراجع فى مقعده :

ـ إنه لا يسخر منا .

انعقد حاجبا (حاتم) :

ـ ماذا إذن ؟!

حمل صوته صرامة محنقة :

ـ إنه يتحدانا .

قالها ، فران عليهما صمت عجيب ...

صمت ثقيل ...

محنق ...

غاضب ...

وقلق ...

إلى حد مخيف ...

***

حمـل (نجيب زاهر) ، مدير واحدة من الشركات الضخمة حقيبة كبيرة إلى السيارة ، التى تقل زوجته وأطفاله ، وبينما يضعها فى الحقيبة الخلفية للسيارة ، سألته زوجته :

ـ أمازلت لا تستطيع السفر معنا ؟!

ربَّت على خدها :

ـ ليس الأمر سهلًا ... هناك صفقة كبيرة ، لابد من حضورها بنفسى .

قالت فى أمل :

ـ ولماذا لا نؤجل السفر؛ حتى تنتهى صفقتك ؟!

هتف فى سرعة :

ـ لا .

ثم استدرك متراجعًا :

ـ الأولاد يحتاجون إلى المصيف، وَجَدَّتُهم تشتاق لرؤيتهم .

وحاول أن يبتسم :

ـ وما هى إلا أيام قليلة، ويمكننى اللحاق بكم .

سألته فى حنان :

ـ وهل تستطيع الاعتناء بنفسك ؟!

اتسعت ابتسامته :

ـ لا تقلقى .

استقلت السيارة التى انطلقت بها وبالأولاد ، وهو يلوح لهم ، وما إن ابتع
لمسافة كافية ، حتى امتلأ وجهه بابتسامة كبيرة ، وهو يغمغم :

ـ أخيرًا .

ثم التقط هاتفه المحمول :

ـ ألو (فيجى) ... لقد غادروا ... نعم ... لن يعودوا قبل أسبوعين .
لا ... لن انتظر للغد ... أريدك الليلة.

أسرع يصعد فى درجات السلم ، وهو يواصل الحديث :

ـ نعم ... ذلك الأحمر القصير ... الأزرق أيضًا ... إنها فترة كافية ؛ لنقض
شهر عسل خاص ... سأنتظرك .

دلف إلى منزله ، وأسرع إلى حجرة نومه ... وراح يستحم جيدًا ، وارتد
روبًا منزليًا ، وراح يتعطَّر ، حتى سمع رنين جرس الباب ، فأسرع إليه فو
لهفة :

ـ فى موعدك بالضبط ... ولأوَّل مرة فى ...

بتر عبارته ، وانحبست الكلمات فى حلقه ، وهو يحدق ذاهلًا ، فى رجل
مقنَّع ، متشح بالسواد ، دفعه فى قوة إلى الداخل ، وهو يهوى على رأسه
بهراوة صغيرة ...

وأظلمت الدنيا أمام (نجيب) ...

دفعة واحدة ...

ودفعة واحدة أيضًا ، استعاد وعيه، وشعر بيد قوية ، تسحبه أرضًا ، نحو مطبخ البيت ، فتمتم فى تهالك :

ـ ماذا حدث ؟!

أراد أن يمسك رأسه ، مع الصداع الشديد الذى يكتنفه ، ولكنه أدرك ، فى هذه اللحظة فقط ، أن ذراعيه مقيدتان بمحاذاة جسده ، فتملكه الرعب ، وهتف :

ـ من أنت ؟!... ماذا تريد ؟!

ألقاه المقنع على أرضية المطبخ ، ثم انحنى يقيد قدميه ، فهتف فى رعب :

ـ ماذا تريد منى ؟!

التقط المقنع منشفة المطبخ ، ودفعها فى قسوة ، فى حلق (نجيب) ، الذى شعر وكأنه يختنق ، والمقنَّع ينهض ، ويتجه نحو محبس الغاز ، فحاول (نجيب) أن يصرخ ، ولكن كل ما خرج من حلقه المختنق ، مجرد همهمات ، لم يبال بها المقنع أبدًا ، وكأنه بلا مشاعر ...

وقاوم (نجيب) قيوده ...

قاوم ...

وقاوم ...

وقاوم ...

وفى النهاية ، أدرك أنه لا فائدة من المقاومة ...

وأنه مقيَّد فى شدة ...

ومن حلقه المختنق صدرت همهمات مذعورة ...

ثم همهمات مستعطفة ...

ولكن المقنع غادر المطبخ فى هدوء ، ثم عاد حاملًا زجاجة من الويسكى
راح يصبها على جسد (نجيب) فى هدوء ...

وانتفض جسد (نجيب) فى رعب ...

واغرورقت عيناه بالدموع ...

وبكل برود، أشعل المقنع عود ثقاب ...

ومن عينى (نجيب) أطلَّ كل الرعب ...

وعاد يقاوم قيوده فى استماتة ...

ولكن المقنع ألقى عليه عود الثقاب ...

واشتعل جسد (نجيب) دفعة واحدة مع الويسكى الذى يغرقه ...

ومن حلقه خرجت همهمات ألم رهيبة ...

ولكن المقنع بدا شديد الهدوء ، وهو يغادر المكان ، ويرفع هاتفًا محم
إلى أذنيه ، تاركًا (نجيب) خلفه يحترق ...

بلا رحمة ...

***

« هل ستظلين هنا طوال الليل ؟!... »

ألقى (خيرى) السؤال على (إلهام) ، التى تراجعت فى مقعدها ، وفرّ
عينيها فى إرهاق شديد :

ـ مازلت أبحث .

جلس على مقعد بعيد :

ـ لماذا لا تقتنعين بأنه لا توجد صلة مباشرة بينهما ؟

تنهَّدت :

ـ ولماذا استهدفهما القاتل نفسه إذن ؟!

غمغم :

ـ ليس من الضرورى أن يكون السبب هو وجود صلة بينهما .

بدت لهجتها يائسة :

ـ أريد سببًا مقنعًا .

صمت لحظات :

ـ توجد صلة واحدة واضحة .

رفعت عينيها إليه فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

أجابها فى اقتضاب :

ـ أنت .

اتسعت عيناها لحظة ، ثم انعقد حاجباها :

ـ هل تمزح ؟!

هزَّ رأسه :

ـ مطلقًا ... أنت بالفعل الصلة الوحيدة بينهما .

غمغمت :

ـ أتعنى مقالاتى ؟!

أومأ برأسه ، فبدا عليها الحزن :

ـ أتريد أن تقول : إننى المسئولة عن مقتل الاثنين ؟!

هزَّ رأسه نفيًا :

ـ لست المسئولة عن هذا ... الصلة هى مقالاتك فحسب ، وهو دور صحفى نزيه ، تقومين به ، وليس ذنبك أن يستخدمه مختل نفسى فى ارتكاب جرائم ما .

اعتدلت :

ـ ولكن ماذا لو ...

قطع سؤالها رنين هاتفها ، فالتقطته فى سرعة :

ـ (إلهام رأفت) ... ماذا هناك ؟!

اتسعت عيناها ، وسقطت شفتها السفلى ، فاعتدل (خيرى) فى قلق ، يسألها :

ـ ماذا هناك ؟!

رفعت عينيها إليه ، وجف حلقها :

ـ إنه هو مرة أخرى .

تمتم :

ـ من ؟!

بح صوتها فى شدة :

ـ القاتل .

وكانت مفاجأة ...

قاسية ...

* * *

الفصل الثالث

« الجثة متفحمة تمامًا ... »

قالها ضابط المطافئ ، وهو يشير إلى جثة (نجيب) ، ثم أدار عينيه فى المكان :

ـ وعلى الرغم من التلفيات الشديدة فى المطبخ بفعل النيران ، إلا أن وصولنا إلى هنا بسرعة منع النيران من الامتداد لباقى أجزاء الشقة .

أدار (حاتم) عينيه بدوره فى المكان :

ـ وكيف وصلتم إلى هنا بهذه السرعة ؟!

أجابه فى اهتمام :

ـ تلقينا بلاغًا باشتعال حريق فى مطبخ الشقة .

انعقد حاجبا (على) :

ـ بلاغ ؟!... وبهذه الدقة ؟!

أومأ الضابط برأسه :

ـ الواقع أن هذا أدهشنا فى البداية ، حتى أننى سجَّلت رقم هاتف المبلغ ، خشية أن تكون مزحة سخيفة ، ولكن ...

اكتفى بهز كتفيه ، دون أن يكمل عبارته ، فسأله (على) فى اهتمام :

ـ هل تحمل ذلك الرقم ؟!

ناوله ضابط المطافئ ورقة مطوية ، فضها فى سرعة ، والتقط هاتفه :

ـ (محسن) ... سأمليك رقم هاتف ، أريد معرفة كل بياناته فورًا .

جذب (حاتم) الضابط بعيدًا :

ـ هل كان الباب مغلقًا عند وصولكم ؟!

أجابه الضابط :

ـ عندما وصلنا ، كان الدخان يتجاوز أسفل باب الشقة ، فقمنا بتحطيم الباب ؛ لسرعة إطفاء النيران ، قبل أن يتحوَّل الأمر إلى كارثة .

حك ذقنه :

ـ أمر طبيعى .

لحق بهما (على) فى هذه اللحظة :

ـ إنها جريمة قتل .

بدت دهشة كبيرة ، على وجه ضابط المطافئ :

ـ جريمة قتل ؟!

والتفت إليه (حاتم) :

ـ كيف يمكنك الجزم ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة محنقة :

ـ الهاتف الذى أبلغ عن الحريق ، هو هاتف (جيلان سمير) .

التقى حاجبا (حاتم) فى شدة :

ـ هو ؟!

أومأ (على) برأسه إيجابًا :

ـ مازال يعبث بنا ، ويتحدى ذكاءنا .

تلفت (حاتم) حوله :

ـ أين توقيعه إذن ؟!

أجابه (على) :

ـ سنجده فى مكان ما هنا حتمًا .

نقل ضابط المطافئ نظره بينهما فى دهشة مستنكرة :

ـ عن أى توقيع تتحدثان ؟!

وضع (حاتم) يده على كتفه فى حزم :

ـ واصل أنت عملك يا رجل ، واتركنا لعملنا .

انعقد حاجبا الضابط :

ـ بالتأكيد .

ولكن ما إن ابتعد بضع خطوات ، حتى قال (على) :

ـ ابحث عن أى دليل يمكن أن يشير إلى أن الحريق متعمد .

أومأ الضابط برأسه ، وهو يواصل ابتعاده ، فعاد (على) يبصره إلى (حاتم) :

ـ أين تعتقد أنه وضع توقيعه ؟!

أدار عينيه فى المطبخ المحترق :

ـ ليس هنا حتمًا .

ثم أشار بإبهامه :

ـ ولكنه حتمًا فى مكان واضح .

غمغم (على) :

ـ مثل ماذا ؟!

خرجا معًا من المطبخ ، وراحا يجولان ببصرهما فى المكان ، ورجال الأدل
الجنائية أشبه بخلية نحل ، منتشرون فى كل مكان ...

ثم هتف (على) فى حماس :

ـ ها هو ذا .

كان يشير إلى حجرة نوم (نجيب) ، والتى ألصقت على بابها قصاص
صحف قديمة ، اتجها نحوها فورًا ، وقرأ (على) :

ـ إنه مقال آخر للصحفية (إلهام رأفت) ، يتحدَّث عن حريق كبير ، التهم
مخازن الشركة التى يرأسها (نجيب) ، وإلى أن ستة من عمال المخازن
قد احترقوا أحياء داخلها .

غمغم (حاتم) :

ـ وهل يشير المقال بأصابع الاتهام إلى (نجيب زاهر) ؟!

أومأ (على) برأسه :

ـ نعم ... بأسلوب مستتر ... (إلهام) تتهمه باختلاس معدات بملايي
الجنيهات من المخازن ، وبعدها تعمَّد حرق المخازن ؛ لإخفاء جريمته .

قلب (حاتم) شفتيه :

ـ ستة عمال احترقوا أحياء ؛ لإخفاء جريمة رجل .

غمغم (على) :

ـ ربما كان مجرد افتراض صحفى .

أدار عينيه إلى المطبخ :

ـ لهذا تم حرقه حيًّا .

تطلع إليه (على) فى دهشة :

ـ ومن أدراك أنه كان حيًا عندما اشتعلت فيه النيران ؟!

حمل صوته كل الحزم :

ـ تسلسل الأحداث ... (الفيومى) صعق زوجته بالكهرباء فى البانيو ، فتم صعقه فى البانيو ، و (جيلان) تاجرت فى مخدرات ، قتلت العديد من الشباب بجرعة زائدة ، فتم قتلها بجرعة زائدة ، و (نجيب) تسبَّب فى احتراق ستة عمال أحياء ، فلابد وأن يتم حرقه حيًا ... هكذا تسير السلسلة .

صمت (على) لحظات :

ـ أنت على حق .

ثم استدرك فى حزم :

ـ ولكننا لا نملك دليلًا واحدًا على صحة هذا .

عاد إليهما ضابط المطافئ فى هذه اللحظة :

ـ يبدو أنكما على حق .

التفتا إليه ، فتابع :

ـ لست خبيرًا معتمدًا من الناحية الرسمية ، ولكن هناك ما يوحى بوجود مادة مسرعة ، تسببت فى اشتعال الحريق .

سأله (على) فى اهتمام :

ـ وماذا عن الضحية ؟!

تردَّد الرجل لحظة، ثم قال :

ـ صحيح أن الجثة محترقة تمامًا ، ولكن وضع الذراعين والقدمين يوحى بأنه كان مقيدًا عندما اشتعلت فيه النيران .

تساءل (حاتم) فى حذر :

ـ وهل كان حيًا عندئذ ؟!

تردَّد الرجل لحظة أخرى :

ـ ربما بدا هذا بشعًا ، ولكن الجواب على الأرجح هو ... نعم .

وتبادل (حاتم) و (على) نظرة صامتة ...

وتحوى آلاف المعانى ...

فى الوقت ذاته ...

* * *

أطلقت (إلهام) زفرة عصبية ، وبدت شديدة الضجر ، وهى تقول عصبية :

ـ هل سيتكرَّر هذا فى كل مرة ؟!

تبادل (حاتم) و (على) نظرة ، قبل أن يقول الأوَّل :

ـ لست هنا كمتهمة يا آنسة (إلهام) .

قالت فى صرامة :

ـ لماذا تم استدعائى إذن ؟!

ابتسم (على) :

ـ مصطلح (استدعاء) هذا مبالغ للغاية يا آنسة (إلهام) .

أشارت بكفها فى حنق :

ـ ماذا تسمى هذا إذن ؟!

مال نحوها محافظًا على ابتسامته :

ـ أوّلًا : لم يتم إرسال استدعاء رسمى لك أبدًا ، وثانيًا : الأمر كله لم يخرج عن كونه اتصالا هاتفيًا ، طلبت فيه منك أن تشرفينا بزيارتك لتبادل بعض الأفكار بشأن مقالاتك هذه .

تطلعت إليه بضع لحظات بعينين متسعتين مغمغمة :

ـ هذا صحيح .

سألها (حاتم) فى هدوء :

ـ لماذا تصوّرت أنه استدعاء إذن ؟!

هزّت كتفيها ، دون أن تجيب ، فاعتدل (حاتم) :

ـ كل ما ننشده هو بعض التعاون ، الذى قد يقودنا إلى طرف خيط .

أشاحت بوجهها لحظات ، ثم عادت ببصرها إليهما :

ـ ماذا تريدان ؟!

سألها (على) :

ـ لماذا فى رأيك ترتبط كل الجرائم بمقالاتك ؟!

هزّت رأسها :

ـ لست أدرى ... إننى أحاول منذ يومين إيجاد أية صلة .

سألها (حاتم) فى اهتمام :

ـ وهل وجدت ؟!

صمتت لحظة :

ـ (خيرى) يقول : إن الصلة الوحيدة هى مقالاتى .

سألها (على) فى اهتمام :

ـ من (خيرى) ؟!

أشارت بيدها :

ـ زميل عمل .

غمغم (حاتم) :

ـ زميل فقط ؟!

حمل صوتها كل الحدة :

ـ نعم ... فقط .

ابتسم (على) :

ـ هذا رأى (خيرى) ، ولكن ماذا عنك ؟!

أشارت بسبَّابتها ووسطاها :

ـ وجدت صلتين أخريين .

حمل صوت (حاتم) كل الاهتمام :

ـ وهما ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ كلاهما ارتكب جرمًا ، وأفلت من العقاب .

بدا (على) شديد الاهتمام :

ـ وماذا أيضًا ؟!

أدارت عينيها إليه :

ـ (منير حلمى) .

تبادل (على) و (حاتم) نظرة :

ـ (منير) من ؟!

اعتدلت فى مقعدها :

ـ العقيد سابقًا (منير حلمى) ... مدير مباحث (القاهرة) .

عادا يتبادلان نظرة ، ثم تساءل (حاتم) فى حذر :

ـ وما صلة العقيد (منير حلمى) بالجرائم ؟!

أجابت فى حسم :

ـ كل جريمة من الثلاثة ، كان ضابط التحقيقات فيها هو العقيد (منير حلمى) ... وكان لا يزال مقدمًا أيامها .

تراجع (على) فى مقعده ، وبدت عليه علامات تفكير عميق :

ـ سيادة العقيد (منير حلمى) ، من أشهر رجال البحث الجنائى ، وكان يلقى بعض المحاضرات فى أكاديمية الشرطة ، قبل أن يصاب بذلك المرض ، الذى أقعده ، وتسبب فى تقاعده .

قالت :

ـ هناك ما هو أهم .

سأل (حاتم) :

ـ وما هو ؟!

أشارت بسبَّابتها :

ـ الجرائم الثلاث ارتكبت بنفس ترتيب القتل .

عاد الضابطان يتبادلان نظرة ، ثم تمتم (على) :

ـ هذا يعنى أننا نواجه حالة جنائية ، يندر وجود مثلها فى (مصر) .

أكمل (حاتم) :

– قاتل متسلسل يسعى لتطبيق نوع يؤمن به من العدالة المنافية للقانون ...

تمتم (على) :

– وبالترتيب .

شدَّ (حاتم) قامته :

– لو أردت رأيى ، فهذا هو طرف الخيط ... طرف اسمه (منير حلمى) ولم يعلق (على) ، أو تعلق (إلهام) ...

فقد بدا لهما أن هذا قد يكون بالفعل طرف خيط ...

حقيقيًا ....

***

انهمك الطبيب الشرعى فى فحص جثة (نجيب زاهر) ثم اعتدل ، ومسح العرق الغزير على جبينه ، مغمغمًا :

– يا للبشاعة .

ثم التقط هاتفه ، وطلب رقم (على) ، وما إن سمع صوته ، حتى قال :

– كنت على حق أيها المقدم .

سأله (على) فى اهتمام :

– تم إحراقه حيًا ؟!

أجابه فى اشمئزاز :

ـ كان حيًا ومقيّدًا بشريط لاصق ، قيَّد معصمه وكاحليه ، وكمم فمه أيضًا ... والسخام فى رئتيه ، يؤكد أنه كان يتنفَّس حتى لحظة اشتعال النيران فى جسده .

غمغم (على) عبر الهاتف :

ـ كان إعدامًا وحشيًا .

شعر الطبيب الشرعى بارتجافة خفيفة تسرى فى جسده :

ـ ربع قرن فى هذه المهنة ، ولم أشهد قتلًا بهذه البشاعة .

زفر (على) :

ـ أخشى أن تكون مجرَّد بداية .

أنهى المحادثة ، والتفت إلى (حاتم) الذى يقود السيارة ، والذى قال فى بطء :

ـ أحرقه حيًا ... أليس كذلك ؟!

أجابه فى اقتضاب :

ـ بلى .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم تساءل (على) :

ـ أأنت واثق من أنه الاتجاه الصحيح ؟!

أجابه (حاتم) ، وهو ينحرف إلى طريق فرعى :

ـ جهاز تحديد الموقع العالمى (GPS) ، يقودنا إلى العنوان .

راجع (على) ورقة فى يده :

ـ ما يدهشنى أنه يقيم وحده ، على الرغم من إصابة ساقيه .

غمغم (حاتم) :

- ابنة أخيه كانت تقيم معه ، حتى تزوّجت ، وانتقلت للعيش فى (الإسكندرية) .

تساءل (على) مستنكرًا :

- وتركته وحده ؟!

هزّ كتفيه :

- إنه يستطيع الوقوف على قدميه بالكاد ، ويمكنه الاعتماد على نفسه فى الشئون اليومية ، وهناك خادمة تأتى لتنظيف المنزل وإعداد الطعام فى نهاية كل أسبوع .

هزّ رأسه دون أى تعليق ، ولاذ بالصمت ، حتى توقفت السيارة ، أمام فيلا (منير حلمى) الصغيرة ...

كان مصطلح (فيلا) ، يعطى انطباعًا أكبر من الواقع ، فهو مجرد بناء من طابقين ، فى شارع ضيق أنيق ، وله حديقة محدودة ، لا يزيد عرضها عن المترين ...

وفى صالة الفيلا ، استقبلهما العقيد (منير) نفسه ، وما إن وقع بصره عليهما ، حتى حدّق فى وجهيهما فى توتر ملحوظ ، فغمغم (على) ، محاولًا بث أكبر قدر من الهدوء والمودة فى صوته :

- سيادة العقيد (منير حلمى) .

أجاب فى سرعة :

- سابقًا ... عقيد سابق .

تمتم (حاتم) :

ـ مازلت رمزًا يا سيدى ..

تطلع إليه (منير) طويلًا ، قبل أن يغمغم :

ـ حقًا ؟!

انعقد حاجبا (حاتم) فى حين قال (على) فى حزم :

ـ سيادة العقيد ، نحن هنا لسؤالك عن بعض القضايا القديمة ، التى توليت التحقيق فيها .

تساءل فى حذر :

ـ مثل ماذا ؟!

وطوال نصف الساعة ، شرحا له فى إيجاز جرائم القتل المتسلسلة العجيبة ، واستمع هو إليهما فى اهتمام بالغ :

ـ تلك الجرائم الثلاثة أذكرها جيدًا .

غمغم (حاتم) :

ـ ولم تثبت الإدانة فى أيها .

هزَّ العقيد كتفيه :

ـ ليست وحدها ... الكثير من الجرائم ، يصعب إثبات الإدانة فيها .

سأل (على) فى اهتمام :

ـ وهل توليت جرائم من هذا النوع ، أعنى التى لم يمكن إثبات الاتهام فيها .

أضاف (حاتم) :

ـ بعد هذه الجرائم الثلاث بالطبع .

بدت عليه علامات التفكير العميق :

ـ ربما أربع أو خمس ، أو ست قضايا ، قبل تقاعدى إجباريًا .

حمل صوت (على) كل الاهتمام :

ـ هل تذكرها كلها .

تراجع فى مقعده المتحرك :

ـ يمكننى أن أحاول .

ثم رفع عينيه إليهما، محاولًا أن يبتسم :

ـ لقد مضى وقت طويل .

تبادل (على) و (حاتم) نظرة صامتة ، ثم نهضا معًا :

ـ لا تشغل بالك يا سيادة العقيد .

تمتم مبتسمًا :

ـ سابقًا .

تابع (على) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ يمكننا نحن القيام بهذا .

أضاف (حاتم) :

ـ وسنعود إليك بالتأكيد ، يا سيادة العقيد ؛ لنطلعك على مستجدات الأمور .

وما إن غادرا الفيلا ، حتى التفت إلى (على) فى حنق :

ـ هل كان الأمر يستحق ؟!

أشار (على) بيده ، وهو يتخذ مقعده فى السيارة :

ـ كان لابد وأن أراه .

اتخذ (حاتم) مقعد القيادة ، متمتمًا :

ـ هل كنت تشك فى عجزه ؟!

هزَّ كتفيه :

ـ أحيانًا ما يشعر رجل البحث الجنائى بالغضب ، حينما يفشل فى إثبات الجرم على مجرم يثق فى ارتكابه إياه .

انطلق (حاتم) بالسيارة :

ـ وتصوَّرت أنه ربما يسعى للانتقام ؟!

غمغم :

ـ ليس هناك ما يمنع .

انعقد حاجبا (حاتم) :

ـ الرجل مقعد .

أدهشه أن إجابة (على) :

ـ ومن أدراك ؟!

انعقد حاجباه :

ـ إنه يجلس على مقعد متحرك ، ويعول نفسه بالكاد .

بدا باردًا :

ـ أأنت واثق ؟!

التفت إليه فى دهشة :

ـ هل تتصوَّر أنه يتظاهر بهذا ؟!

ابتسم :

ـ ألا يحدث هذا ، فى أفلام السينما القديمة ؟!

بدا صارمًا :

ـ ولكننا لسنا فى فيلم عربى قديم .

رفع (على) رأسه ؛ ليدير عينيه إلى الطريق :

ـ ولكن الفكرة مغرية .

كان (حاتم) يهم بقول شىء ما عندما ارتفع رنين هاتف (على) فالتقط

مغمغمًا :

ـ إنها (إلهام) .

ضغط زر الإجابة ، وهو يقول :

ـ أهلًا يا آنسة (إلهام) ... هل من جديد ؟!

بدا صوتها محملًا بالانفعال :

ـ لقد راجعت كل الجرائم ، التى تولى (منير حلمى) التحقيق فيها ، والتى

لم تثبت فيها الإدانة .

سألها فى اهتمام :

ـ وهل يمكن أن يقودنا هذا إلى شىء ؟!

هتفت :

ـ بالطبع .

ثم أضافت بكل انفعال :

ـ أنا أعرف من ضحية القاتل المتسلسل القادمة .

وارتفع حاجباه فى دهشة ...

دهشة بلا حدود ...

على الإطلاق .

* * *

الفصل الرابع

فى بهو ذلك الفندق الفاخر الشهير ، المطل على نيل القاهرة ، جلس المنتج السينمائى الشهير (خالد البنهاوى) ، مع الممثلة الجميلة الناشئة (نشوى همام) ، التى بدت سعيدة للغاية ، وهى تقول فى امتنان :

ـ لست أدرى كيف أشكرك يا (خالد) بك ، على ذلك الدور المميَّز ، الذى منحتنى إياه فى فيلمك الجديد .

جذب نفسًا من سيجاره الضخم ، ونفث الدخان فى الهواء :

ـ إنه أمر بسيط .

ثم غمز بعينه :

ـ ويعتمد على مدى استعدادك للتعبير عن العرفان بالجميل .

تراجعت فى قلق ، وامتقع وجهها :

ـ ماذا تعنى يا (خالد) بك ؟!

أطلت الشهوة من عينيه وصوته :

ـ هل تتظاهرين بعدم الفهم ؟!

اتخذت جلستها موقفًا تحفزيًا :

ـ لست أفهم بالفعل .

ثم حمل صوتها كل قلقها وتوترها :

ـ أو أننى أخشى أن أفهم .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ذئب ، وهو ينفث دخان سيجاره نحوها :

ـ أنت شابة وجميلة ... وتضاريس جسدك مثالية .

تضاعف توترها ، وهى تستند إلى حافة المائدة :

ـ (خالد) بك !!

تابع ، متجاهلًا لهجتها العصبية :

ـ وفتاة مثلك ، يمكنها التعبير عن امتنانها بوسائل عديدة .

التقى حاجباها ، وهى ترميه بنظرة يملؤها الغضب والتوتر والاستنكار

فتتسع ابتسامته الذئبية :

ـ ولن يعلم أحد سوانا بما سيدور بيننا .

انخفض صوتها ، وتضاعف غضبه واستنكاره :

ـ (خالد) بك ... هل تدرك ما تعرضه علىَّ هنا ؟!

أشار بكفه فى غطرسة :

ـ الطريق إلى المجد .

نهضت فى حركة حادة :

ـ بل الطريق إلى أقذر مستنقع .

لم يبد عليه التأثر ، وهو يعاود نفث دخان سيجاره الفخم :

ـ المرور بالمستنقع ضرورة لبلوغ شاطئ المجد والشهرة والمال .

انتفض جسدها فى غضب :

ـ ما لم تغرق فى قاع المستنقع .

قالتها ، والتقطت حقيبتها لتغادر المكان ، فقال فى صرامة :

ـ لو انصرفت من هنا ، عليك نسيان أمر الفيلم .

توقفت ، والتفتت إليه ، وعلا صوتها الغاضب :

ـ اذهب أنت وهو إلى الجحيم .

راقبها تندفع مغادرة المكان ، فقلب شفتيه ، مغمغمًا :

ـ غبية .

أشار إلى السقاة ، الذين بدوا وكأنهم معتادون على هذا الموقف ، ونقدهم ثمن ما طلبه ، مع بقشيش كبير ، ثم غادر المكان ، بنفس الزهو ، الذى يكوِّن شخصيته ، وطلب رقم سائقه ، فأتى بالسيارة حتى باب الفندق ، فدلف (خالد) إليها وقال ، وهو يطفئ سيجاره :

ـ الفيلا يا (حسين) .

انطلقت السيارة على الفور ، واسترخى فى مقعده ، وهو يغمغم :

ـ قيادتك أفضل الليلة يا (حسين) .

سمع صوتًا جافًا ، يقول فى صرامة :

ـ لست (حسين) .

اعتدل فى حركة حادة :

ـ من أنت ؟!

ضغط السائق فرامل السيارة فى حركة مفاجئة ، دفعت جسد (خالد) إلى الأمام ، فارتطم بظهر المقعد الأمامى ، وقبل أن يعتدل ، هوت هراوة قصيرة على مؤخرة عنقه ، فى ضربة شديدة العنف ...

وبعدها أظلمت الدنيا كلها أمام عينيه ...

* * *

تراجع (على) فى مقعده ، يفكر فى عمق ، فيما سمعه من (إلهام) ..

لقد وضعت قائمة بكل الجرائم ، التى فشلت الشرطة فى إثباتها ، على

الرغم من أن كل مرتكبيها ، تحيط بهم الكثير من الشبهات ، وتشير إليهم عد

قرائن ...

ولكن دون دليل مادى واحد ...

وهكذا برأهم القضاء ...

واتهمهم الرأى العام ...

وكلهم ينطبق عليهم الأمران الأساسيان ...

هى نفسها اتهمتهم بمقالاتها ...

وقضاياهم كلها تولاها المقدم ـ آنذاك ـ (منير حلمى) ...

ووفقًا لقائمتها ، كان التالى على اللائحة ، هو المنتج (خالد البنهاوى) ..

اعتدل دفعة واحدة ، والتقط هاتفه الداخلى :

ـ هل عاد (حاتم) بك ؟!

أجابه جندى المكتب :

ـ (حاتم) بك فى الطريق لسيادتك ، يا (على) بك .

لم يكن قد أنهى المحادثة بعد ، عندما دخل (حاتم) والإرهاق باد عل

وجهه ، فرفع عينيه المتسائلتين إليه :

ـ هل ...

لم ينطق سوى الكلمة ، فهزّ (حاتم) رأسه :

ـ لا ... ليس فى فيلته ، ولا أحد يعلم أين ذهب .

زفر (على) ، وهو يتراجع فى مقعده :

ـ يا للسخافة !!... لدينا اسم الضحية الجديدة ، ونعجز عن العثور عليه .

هزَّ (حاتم) كتفيه ، وهو يتراجع فى مقعده ، ثم اعتدل فجأة :

ـ ولكن لا ينبغى أن يوقفنا هذا ... (خالد البنهاوى) لم يكن يتحرك بدون سيارته ، وسائقه الخاص (حسين على) .

اعتدل (على) بدوره :

ـ يمكننا توزيع نشرة على كل نقاط المرور برقم وطراز ولون سيارته .

أشار (حاتم) بسبَّابته فى حماس :

ـ ونشرة بأوصافه ، وأوصاف سائقه (حسين) هذا ...

انتقلا فى سرعة إلى مرحلة التنفيذ ، وتم توزيع النشرات الثلاث على كل أقسام وكمائن (مصر) ، من (الإسكندرية) إلى (أسوان) ، ومن (العريش) إلى (مرسى مطروح) ...

وكل هذا فى خلال نصف الساعة فقط ، مع وسائل الاتصال الحديثة ...

وبعد عشر دقائق فقط من النشر على نطاق واسع ، وصلت الاستجابة الأولى ...

« عثروا على سائق (خالد البنهاوى) ... »

قالها (حاتم) فى انفعال ، وهو يخفض هاتفه عن أذنه ، فاعتدل (على) ، هاتفًا :

ـ وحده ؟!.

أجابه (حاتم) ، وهو يسرع نحو سيارته :

ـ هذا هو السؤال .

فى نفس اللحظة التى نطقها فيها ، كان (خالد) يستعيد وعيه فى بطء ورأسه يدور فى قوة ، مغمغمًا فى ذهنه :

ـ ماذا حدث ؟!... ماذا حدث ؟!...

حاول أن يرفع يده ليمسك رأسه ، ولكنه أدرك فى هذه اللحظة فقط ، أن مقيَّد فى إحكام ، إلى مقعد معدنى ثقيل ، فى وضع مائل ...

وعندئذ فتح عينيه ...

واتسعتا عن آخرهما ، فى رعب شديد ...

فالمقعد المقيد إليه ، كان يرتكز بقائميه الخلفيين فقط على حافة صخرة بارزة فى جزء مهجور من جبل المقطَّم ...

وهو يميل بشدة، نحو هوة صخرية عميقة ...

لم يدر كيف يتخذ المقعد هذا الوضع مائلًا بشدة نحو الأمام ، فحدق فى رعب شديد فى الهوة الصخرية العميقة تحت قدميه ، وحاول أن يصرخ مستنجدًا ...

ولكنه كان مكممًا بشريط لاصق قوى ...

ومع عدة محاولات ، لم يعد أمامه سوى البكاء ...

فانفجر باكيًا ...

ومع ارتجافة البكاء ، شعر بالمقعد يميل أكثر إلى الأمام ...

لم يدر ماذا يثبت مؤخرة المقعد بالصخور ، ولكنه أدرك أن ثقل جسد يدفع المقعد إلى الأمام ... وإلى أسفل ...

القرقعة من خلفه جعلت قلبه يرتجف فى رعب أكثر ، وهو يحدق فى الهاوية الصخرية أمامه ، ويبكى ...

وانهار تمامًا ...

فى نفس اللحظة ، كان (حاتم) يسأل السائق ، الذى لم يستعد صفاء ذهنه بعد :

ـ ماذا حدث بالضبط يا (حسين) ؟!...

غمغم الرجل فى مرارة :

ـ لست أدرى يا حضرة الضابط ... كنت أدخن سيجارة إلى جوار السيارة ، وتلقيت ضربة قوية على رأسى ... و ...

لم يكمل حديثه، فسأله (على) :

ـ ألم تلمح وجه مهاجمك ، أو أى شىء يمكن أن تصفه به ؟!

هزَّ السائق رأسه :

ـ لم أشعر حتى بقدومه .

هم (حاتم) بإلقاء سؤال آخر ، عندما رن هاتف (على) ، فالتقطه فى سرعة ، واستمع إلى محدثه لحظات ، قبل أن يرفع عينيه إلى (حاتم) :

ـ عثروا على سيارة (خالد) .

* * *

بلغ انهيار (خالد) مبلغه ، فى هذه اللحظة ، وهو يسمع قرقعة جديدة من خلفه ، لا يستطيع تحديد موقعها ، أو الالتفات إلى مصدرها ...

وهوى قلبه بين قدميه ، عندما مال المقعد به أكثر ، مع تلك القرقعة الأخيرة ...

وبكل رعبه ، راح يطلق همهمات قوية ، فى محاولة للصراخ ...

ولكن المكان كان مقفرًا تمامًا ...

والمقعد يميل إلى الأمام فى بطء ...

ويميل ...

ويميل ...

ثم انطلقت قرقعة جديدة أكثر قوة ...

ومال المقعد فى شدة ...

ثم أفلت قائماه الخلفيان ...

وهوى ...

وبكل رعب الدنيا ، راح (خالد) يصرخ صرخات مكتومة ، من خلف الكمامة القوية ...

ويصرخ ...

وجسده يهوى ...

ويهوى ...

ثم ارتطم بالصخور فى عنف ...

ومع الارتطام القوى ، تحطَّم المقعد المعدنى ...

ومعه تمزق جسد (خالد) ...

تمامًا ...

* * *

« القتل يزداد بشاعة ، فى كل مرة ... »

قالها (على) ، وهو يصب كوبًا من الشاى ، ويقدمه إلى العقيد (منير) الذى التقطه فى حذر ، والتفت إلى (حاتم) :

ـ ألن تشرب شيئًا ؟!

هزَّ (حاتم) رأسه نفيًا ، وغمغم :

ـ مقتل (خالد البنهاوى) بهذا الأسلوب البشع ، أثبت أننا على المسار الصحيح ، وأن القاتل يقتص بالفعل من كل من ارتكبوا جرائم ، وأفلتوا من العقاب .

أضاف (على) ، وهو يرتشف رشفة من الشاى :

ـ وكلهم ممن توليت التحقيق فى جرائمهم .

غمغم (حاتم) فى صرامة :

ـ وأفلتوا من العقاب .

رمق (منير) (حاتم) بنظرة حادة ، ثم التفت إلى (على) :

ـ مازلت أذكر قضية (خالد البنهاوى) هذه ... سكرتيرته سقطت من شرفة حجرة ، كان يستأجرها فى فندق شهير .

تساءل (حاتم) :

ـ كيف أفلت من الاتهام إذن ؟!

أشار (منير) بيده :

ـ استطاع إثبات وجوده فى جلسة خاصة فى نفس توقيت سقوط السكرتيرة ، وقال فى التحقيقات : إنها كانت تملك مفتاحًا إضافيًا لحجرته ؛

لأنها كانت تحضر بعض السيناريوهات والمستندات إلى الفندق خلال فترة التصوير .

تنهَّد (على) :

ـ قصاصة الصحف التى عثرنا عليها ملصقة بالصخرة فى منطقة السقوط، كانت مقالًا للصحفية (إلهام رأفت) ، تتهم فيه (خالد البنهاوى) ، بارتكاب الجريمة ؛ لأن السكرتيرة هددته بكشف علاقة جسدية جمعتهما .

غمغم (منير) :

ـ التحقيق انتهى إلى أن السكرتيرة المسكينة أصيبت بحالة نفسية سيئة، دفعتها للانتحار .

تمتم (حاتم) فى صرامة :

ـ من شرفة حجرته ؟!

قلب (منير) كفيه ، وهزَّ كتفيه ، دون أى تعليق ، ثم التقط نفسًا عميقًا وأشار بسبَّابته :

ـ ماذا عن (إلهام رأفت) هذه ؟!

سأله (على) فى قلق :

ـ ماذا عنها ؟!

أجاب ، وهو يرجع بظهره إلى مسند مقعده :

ـ أليس من العجيب أن الضحايا كلهم ، اتهمتهم هى فى مقالاتها ؟!

هزَّ (حاتم) رأسه :

ـ ليست تمتلك القوة لفعل كل هذا .

قال فى حزم :

ـ ليس بالضرورة .

تطلعا إليه فى تساؤل ، فأكمل :

ـ يمكن أن تكون المحرضة فحسب ، ولو عن طريق غير مباشر... أو ربما حتى دون أن تدرك .

تمتم (حاتم) فى توتر :

ـ دون أن تدرك ؟!

عاد يشير بسبَّابته :

ـ ربما هناك شخص قريب منها ، أو يسعى للتقرب منها ، ويتصوَّر أنه بفعلته هذه يمكن أن يكتسب حبها واحترامها .

تبادل (على) و (حاتم) نظرة، وغمغم الأوَّل :

ـ (خيرى) .

تساءل (منير) :

ـ (خيرى) من ؟!...

شدَّ (حاتم) جسده فى قوة :

ـ طرف الخيط .

لم يحاول (على) التعليق ، ولكن حاجبيه انعقدا فى شدة ...

فقد يكون (خيرى) بالفعل هو طرف الخيط ...

قد ...

* * *

تطلع (خيرى) طويلًا إلى (إلهام) ، التى تبدو شديدة الإرهاق ، وغمغ

فى تعاطف :

ـ تحتاجين إلى بعض الراحة .

أومأت برأسها :

ـ هذا صحيح .

اقترب منها مشفقًا :

ـ لماذا لا تعودين إلى منزلك ، وتنعمين بنوم هادئ ، ولو لليلة واحدة ؟!

غمغمت :

ـ صدقنى ... كم أتمنى ... لكننى أشعر أننى مسئولة عما يرتكبه ه

القاتل المتسلسل .

قال مستنكرًا :

ـ أنت ؟!... كيف ؟!... كل ما فعلته أن كتبت بعض المقالات ، عما كن

تؤمنين به آنذاك ..

قالت فى حزم :

ـ ومازلت أؤمن به .

أجاب فى قوة :

ـ وأنا أيضًا .

تنهَّدت :

ـ المخيف أنه من الواضح ، أن ذلك القاتل يؤمن بالأمر نفسه ، ويس

لتطبيق العدالة ، بهذا الأسلوب البشع .

صمت لحظات ، ثم قسا صوته :

ـ ربما كان أسلوبه بشعًا ، ولكنه عادل .

استدارت إليه فى دهشة مستنكرة :

ـ عادل ؟!

التقى حاجباه فى صرامة :

ـ دعينا ننظر إلى الأمر بالتسلسل الطبيعى للأحداث .

حمل صوتها كل الحيرة :

ـ كيف ؟!

أشار بيده :

ـ لا تبدئى فى حساب الأمور من الخطوة الأخيرة ... عودى بتفكيرك إلى البدايات ، وليس إلى النتائج .

سألته فى قلق :

ـ أتعنى ما ارتكبوه من جرائم ؟!

بدا قاسيًا :

ـ بالضبط ... كلهم ارتكبوا جرائمهم بقلب بارد ، وبلا رحمة ، ونجحوا فى الإفلات من العقاب ... إما بالتحايل ، أو بأموالهم ... واليوم جاءت لحظة الحساب ، ليدفعوا ثمن جرائمهم دون الالتفاف حول دهاليز القوانين وألاعيبه .

انعقد حاجباها فى قلق :

ـ أتعجَّب من أمرك يا (خيرى) !!

قال فى عصبية :

ـ ولماذا ؟!

هزَّت كتفيها :

ـ عهدى بك دومًا حنونًا ، هادئًا ، تحب الخير للكل .

بدا متوترًا :

ـ وماذا تغيَّر ؟!

أشارت بيدها :

ـ تبدو غاضبًا ، شديد القسوة .

صمت لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ ربما أكون غاضبًا ، لأننى أكره أن يفلت الأثرياء من العقاب ؛ لمجرد أنهم يملكون المال ، الذى يجلب أشهر وأمهر المحامين ، أما بالنسبة للقسوة ، فلست قاسيًا أبدًا .

غمغمت مستنكرة :

ـ مع كل هذا ؟!

اطَّلع إليها لحظات فى صمت ، ثم هدأ صوته :

ـ (إلهام) ... إذا ما أصدر قاضٍ حكمًا بالإعدام على قاتل ارتكب جريمة بشعة ، فهل يمكن وصفه بالقسوة ؟!

قالت فى حزم :

ـ مع القاضى الأمر يختلف ... منصبه ودرايته بالقانون ، يبيحان له هذا.

هتف :

ـ القانون وضعه البشر .

علا صوتها :

ـ لحماية البشر .

لوَّح بذراعيه فى حدة :

ـ وماذا لو عجز عن حماية البشر ؟!

صمتت تتطلع إليه ، وهى حائرة فى إجابة سؤاله ، ولكن صوتًا ارتفع من عند باب مكتبها ، يقول فى حزم :

ـ أظننا سنحتاج إلى مناقشة هذا المنطق معك ، يا أستاذ (خيرى) .

التفتت تتطلع إلى (على) و (حاتم) الذى نطق العبارة، وسمعت (على) يضيف :

ـ عندنا .

وسرى التوتر فى كيان (خيرى) ...

فى كل ذرة من كيانه ...

على الإطلاق .

* * *

الفصل الخامس

« أريد محاميًا ... »

قالها (خيرى) فى عصبية شديدة ، جعلت (حاتم) و (على) يتبادلان نظرة دهشة ، قبل أن يقول الأوَّل :

ـ لم نلق عليك حتى سؤالًا واحدًا بعد !!

قال فى توتر :

ـ ولكنكم جلبتمونى دون إذن نيابة ، أو مذكرة اتهام .

تبادلا نظرة أخرى ، ثم سأله (على) :

ـ هل أجبرناك على الحضور ، أو استخدمنا معك أية قوة ؟!

هزَّ رأسه فى عنف :

ـ لو رفضت الحضور لفعلتم .

ابتسم (على) :

ـ استنتاج ؟!

وغمغم (حاتم) فى صرامة :

ـ أم افتراض سوء نية ؟!

نقل (خيرى) بصره بينهما فى توتر :

ـ لقد تصوَّرت ...

بتر حديثه بغتة ، فتطلع إليه الضابطان فى صمت ، جعله يخفض عينيه :

ـ ماذا تريدان منى ؟!

أجابه (حاتم) فى جمود :

ـ نفس ما أخبرناك به فى مكتب الجريدة ... نريد أن نتناقش معك فى وجهة نظرك .

حمل صوته توتره :

ـ كل إنسان حر ، فى منظوره للأمور .

أشار (على) بيده :

ـ بالطبع ، ولكنا نريد معرفة وجهة نظرك ، لعل هذا يفيدنا فى بحثنا عن ذلك المتسلسل ..

تطلع إليهما :

ـ هل تريدان رأيًا صريحًا ؟!

غمغم (حاتم) :

ـ بالتأكيد.

صمت (خيرى) لحظات ، خفض خلالها بصره ، قبل أن يعود لرفع عينيه إليهما فى حزم ترك أثره على صوته :

ـ ذلك المتسلسل يستحق وسامًا .

هتف (حاتم) فى خفوت :

ـ وسام ؟!

واعتدل (على) فى اهتمام :

ـ ولماذا تعتقد هذا ؟!

أجاب فى حزم ، يفوح برائحة الغضب :

ـ لأنه يحقق ما يعجز عنه القانون ... العدالة... لا يضيع الوقت فى البحث عن دلائل وقرائن ودوافع ، وعلامات جنائية ، يمكن التلاعب بها .

غمغم (حاتم) ، وهو يرمقه بنظرة خاصة :

ـ كل هذا ضمانات لحماية الأبرياء من تلفيق الاتهامات لهم .

لوّح بذراعه كلها :

ـ كل من قتلهم ليسوا أبرياء ... كلهم مجرمين ، نجحوا فحسب فى الإفلات من العقاب .

قال (على) فى صرامة :

ـ ولكنه يخالف القانون !!

أطلق ضحكة عصبية ساخرة :

ـ القانون ؟!... أتعنى نفس القانون ، الذى سمح لأولئك المجرمين بالإفلات ؟!.

قال (حاتم) فى صرامة :

ـ بأية نسبة ؟!

التفت إليه (خيرى) فى حركة حادة ، وبعينين حائرتين ، فتابع :

ـ كم فى المائة من المجرمين ينجحون فى الإفلات من العقاب ؟!

هزّ رأسه فى عصبية :

ـ الكثيرون ... الأثرياء فى الأساس .

سمعه يقول فى صرامة :

ـ أربعة ونصف فى المائة .

غمغم (خيرى) فى حذر :

ـ ماذا ؟!

كرر (حاتم) فى صرامة :

ـ أربعة ونصف فى المائة فقط من مرتكبى الجرائم الكبيرة ينجحون فى الإفلات من العقاب ؛ بسبب خطأ الإجراءات ، أو نقص الأدلة .

غمغم (خيرى) فى حيرة :

ـ أربعة ونصف فقط ؟!

أجابه (على) :

ـ أنت صحفى ، ويمكنك فهم هذا ، فآلاف الجرائم لا تثير اهتمام الرأى العام ، ونادرًا ما يتابع أحد محاكماتها ، ولكن اتهام المشاهير والكبار ، يجذب دومًا انتباه واهتمام الصحافة ، فتستثير القرّاء بدورها ، وتحولها إلى قضايا رأى عام .

أضاف (حاتم) :

ـ ولكنها تبقى أربعة ونصف فى المائة فى الأوراق والإحصاءات الرسمية .

تطلع إليهما (خيرى) مرة أخرى ، فى صمت متوتر ، فى نفس الوقت الذى ارتفع فيه رنين هاتف (على) ، فانتزعه من جيبه ، مجيبًا :

ـ ماذا هناك ؟!

استمع إلى محدثه لحظات ، ثم تمتم :

ـ بالطبع ... لا مانع .

ظلّ (خيرى) صامتًا ، يفكر فيما سمعه ، حتى فوجئ بزميلته (إلهام) تندفع إلى داخل حجرة الاستجوابات ، وهى تهتف فى عصبية :

ـ ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

نهض (على) يستقبلها مبتسمًا :

ـ لا شىء مما تتصورينه .

قالت فى حدة :

ـ لقد أيقظت محامى الجريدة ، وأحضرته معى وسوف ...

قاطعها (حاتم) :

ـ ولماذا كل هذا ؟!

أجابت فى عصبية :

ـ لقد ألقيتما القبض على صحفى دون وجه حق ، و ...

قاطعها صوت (على) المندهش :

ـ ألقينا القبض عليه ؟!... من قال هذا ؟!

نهض (خيرى) ، وهو يقول فى صلابة :

ـ لم يحدث أى إلقاء قبض يا (إلهام) ... سأعود معكما .

سألته فى توتر :

ـ هل هدداك بشىء ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، محاولًا أن يبتسم :

ـ الأمر أبسط مما تتصوَّرين .

ثم لوَّح بكفه لـ (حاتم) و(على) :

ـ أسعدنى وأفادنى التعاون معكما ، ولو احتجتما لتعاونى مرة أخرى فكلى استعداد .

نقلت (إلهام) بصرها بين ثلاثتهم ، وعيناها تحملان اتهامًا صريحًا ، لم تفصح عنه شفتاها ، وهى تغمغم :

ـ فليكن يا (خيرى) ... هيا بنا .

انتظر الرجلان حتى انصرفت مع زميلها ، ثم غمغم (حاتم) :

ـ طباعها ساخنة للغاية .

وافقه (على) ، وهو يعود للجلوس على مقعده :

ـ هذا صحيح .

جلس (حاتم) بدوره :

ـ وما رأيك فى (خيرى) هذا ؟!

صمت (على) لحظات مفكرًا ، قبل أن يلتفت إليه :

ـ مشتبه فيه محتمل .

زفر (حاتم) :

ـ هذا ما بدا لى أيضًا .

فى نفس اللحظة ، كان (خيرى) يجلس صامتًا ، إلى جوار (إلهام) فى سيارتها ، عندما سألته مشفقة :

ـ أمازلت تشعر بالتوتر ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يهز رأسه :

ـ مطلقًا .

غمغمت فى حذر :

ـ ولكنك لم تنطق حرفًا واحدًا منذ غادرنا .

لم يجب سؤالها وهو يتطلع عبر نافذة السيارة المجاورة له ، قبل أن يسا

فجأة :

ـ هل يمكنك إنزالى هنا أرجوك ؟!

التفتت إليه فى دهشة :

ـ بالطبع . ولكننا مازلنا بعيدين عن منزلك .

لوّح بكفه :

ـ أحتاج إلى التنشية قليلًا .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ وحدى .

تطلعت إليه فى حيرة مشفقة ، وأوقفت السيارة على جانب الطريق.

مغمغمة :

ـ بالتأكيد .

غادر السيارة دون أن يلقى عليها التحية ، فارتسم المزيد من القلق على

وجهها ، وهو يبتعد عنها ...

ويبتعد ...

ويبتعد ...

فى صمت ...

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى قرب الثالثة صباحًا ، عندما راحت

(نوال مهدى) ، مديرة المدرسة المتقاعدة تبكى فى رعب ومرارة ، محاولة

المراخ ، من خلال الكمامة السميكة ، التى تكمم فمها ، وهى مقيَّدة المعصمين خلف ظهرها ، وتقف على لوح كبير من الثلج ، معلق بين مقعدين ، من مقاعد صالونها قديم الطراز ، وأنشوطة سميكة ملتفة حول عنقها ، متدلية من خطاف الثريا فى السقف ...

وعلى بعد متر واحد منها ، كان يجلس ذلك المقنع فى زيه الأسود المخيف ، وقناع الثلج الأسود ، الذى لا يبرز سوى عينين قاسيتين ...

كان يجلس على مقعد بسيط بالمقلوب ، ويضع ساعديه على مسنده ، ويركن ذقنه عليهما ، وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا ، أو مسرحية ممتعة ، وهو يتطلع إليها ...

حاولت أن تستعطفه أو تسترحمه بعينيها ، أو همهماتها المكتومة ، إلا أنه لم يبد ذرة واحدة من الرحمة أو العطف ، وهو يراقبها بعينين باردتين قاسيتين ...

ولوح الثلج تحت قدميها يذوب ...

ويذوب ...

ومع ذوبانه، يقل سمكه ...

ويزداد وزنها عليه ...

وعلى الرغم من أن هذا يستغرق وقتًا طويلًا ، ظلَّ المقنع على نفس موضعه ...

يراقب فقط ...

وبتلك النظرات الخاوية ، الخالية من الرحمة ...

وربما من الآدمية ...

كان جسدها ينخفض مع ذوبان الثلج ، والأنشوطة المحيطة بعنقها تضيق ..

وأنفاسها تختنق ...

وفى هذه اللحظة بالذات ، استعادت ذكرى قديمة ...

ذكرى زواجها من مهندس ثرى ، كان لديه ابن معاق ذهنيًا ، من زواج سابق ...

وكانت رعاية ذلك الابن مرهقة للغاية ...

وذات يوم عثروا عليه مشنوقًا فى حجرته ...

ولقد اتهمها زوجها الحزين بقتل ابنه ...

ولكنه لم يستطع إثبات هذا أبدًا ...

ولأن عقوبة الإعدام تستلزم اعترافًا ...

أو دليلًا يقينيًا ...

فقد أفلتت (نوال مهدى) من العقاب ...

وطلقها زوجها ...

ولكن الحزن لم يفارقه قط ...

وأخيرًا ، لقى الرجل مصرعه ، فى حادث سيارة ...

ربما لشروده وعذابه بذكرى ابنه الراحل ...

استعادت تلك الذكريات ، فهزَّت رأسها فى قوة ورعب ...

والمقنَّع يواصل مراقبتها فى صمت ...

وجمود ...

وبلا رحمة ...

أطلقت همهمة عالية فى محاولة أخيرة لدفعه إلى تغيير ما يفعله ، إلا أنه ، ومع همهمتها ، انهار لوح الثلج ...

وأحاطت الأنشوطة بعنقها تمامًا ...

وبكل رعب وألم الدنيا ، راحت تضرب الهواء بقدميها ، على ارتفاع متر عن الأرض ، والأنشوطة تخنقها فى قسوة ...

واختنقت الصرخات والعبرات فى حلقها ...

وراحت الدنيا تظلم أمام عينيها ...

والهواء ينفد من رئتيها ...

وفى النهاية ، انهارت مقاومتها...

وتدلى جسدها جثة هامدة ...

وهنا فقط ، نهض المقنَّع فى هدوء ، وأخرج من جيبه قصاصة صحف قديمة ، ألصقها على ثوب (نوال) ، ثم غادر المكان ...

بمنتهى الهدوء ...

* * *

لم يغمض جفن للصحفية (إلهام) طوال تلك الليلة ...

كانت شديدة القلق ، على تصرفات (خيرى) عقب عودته من مديرية الأمن ...

لم يبد لها كما عهدته دومًا !!

ترى ماذا حدث هناك ؟!...

وما الذى فعل به هذا ؟!...

ظلت الأفكار تؤرقها ، حتى نهضت من فراشها ، واتجهت إلى المكت
الصغير فى ركن حجرة نومها ، وأشعلت الكمبيوتر فوقه ...

وفى اهتمام ، راحت تعيد دراسة القائمة ، التى توصلت إليها ...

كل جرائم المتسلسل ، حتى هذه اللحظة ، كانت تتبع قائمتها بالضبط ...
بنفس الترتيب ...

حتى عندما استنتجت أن الضحية التالية ، ستكون (خالد البنهاوى) ، كانت
على حق ...

ووفقًا لقائمتها ، المفترض أن يتوجه التهديد هذه المرة نحو (نوال مهدى)،
التى اتهمتها هى نفسها بقتل ابن زوجها ، للتخلص من عبء العناية به ...

تراجعت فى مقعدها ، مستعيدة تلك اللحظة القديمة ، بعد نشر مقالها
الذى اتهمت فيه المرأة ...

- « سيادتك (إلهام رأفت) ؟!... »

سمعت السؤال يلقى عليها ، فى صوت هادئ خافت فى صالة تحرير
الجريدة ، فرفعت عينيها ، لتجد (نوال) أمامها :

- هو أنا .

قالتها فى عصبية ، بسبب المفاجأة ، فابتسمت المرأة فى هدوء :

- هل تسمحين لى بالجلوس لحظات ؟!

أشارت إلى مقعد صغير أمام مكتبها :

ـ تفضلى .

جلست (نوال) فى هدوء ، ومنحتها ابتسامة :

ـ يقولون : إنك صحفية جيدة .

غمغمت ، دون أن تفارقها عصبيتها :

ـ أعتقد هذا .

مالت (نوال) نحوها :

ـ وهل يصح لأى صحفى جيد أن يتهم الأبرياء جزافًا ، دون دليل ؟

تطلعت إليها فى توتر :

ـ ربما ليس هناك دليل ؛ بدليل أن القضاء قد برّأك، ولكن لدى مبرر قوى .

سألتها بكل هدوء :

ـ وما هو ؟!

أجابتها فى سرعة :

ـ الرأى الطبى .

ثم التقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة انفعالها ، قبل أن تتابع فى حزم :

ـ طبيب صديق ، متخصص فى مرض التوحد ، أكّد لى أن طبيعة هذا المرض ، تجعل انتحار المصابين به غير مرجح .

مالت (نوال) نحوها أكثر :

ـ غير مرجح أم مستحيل ؟!

لم تجب هى ، فنهضت (نوال) ، وعلى شفتيها ابتسامة غير مريحة على الإطلاق ، وأطلت نظرة مخيفة من عينيها :

ـ كان بإمكانى رفع دعوى تشهير ... ومحامىّ أكّد أنه يمكننى ربحها فى سهولة .

وصمتت لحظة ، قبل أن تستطرد ، فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ ولكننى لن أفعل .

وبدا عليها الزهو :

ـ فلقد تمت تبرئتى ، وانتهى الأمر .

شعرت (إلهام) بغصة غير مريحة ، وهى تستعيد تلك الذكرى ، ثم تمتمت :

ـ (نوال مهدى) .

صمتت لحظة ، ثم التقطت هاتفها ، وأرسلت رسالة نصية إلى هاتف الضابط (على) ...

رسالة من اسم واحد ...

(نوال مهدى) ...

أرسلت الرسالة ، والتقطت نفسًا عميقًا ، وقد شعرت وكأنها كانت تعدو فى ملعب كبير ، و ...

وفجأة رن هاتفها ...

ومع رنينه ، انتفض جسدها فى عنف ، وانطلقت من حلقها صرخة محدودة ...

ولثوانٍ ، راحت تحدق فى هاتفها ، وهى تلهث فى عنف ...

ثم التقطته :

ـ حضرة الضابط (على) .

سمعته يسألها فى اهتمام :

ـ (نوال مهدى) ، هى التالية على قائمتك ؟!

حاولت السيطرة على لهاثها :

ـ نعم .

حمل صوته كل القلق :

ـ ماذا بك ؟!

غمغمت :

ـ كنت أمارس بعض الرياضة فحسب .

بدت الدهشة فى صوته :

ـ فى الرابعة والنصف صباحًا ؟!

لم تحاول الإجابة ، فتابع هو :

ـ يبدو أن قائمتك دقيقة للغاية .

تمتمت :

ـ إنها كذلك .

سألها فى اهتمام :

ـ كم تحوى أيضًا ؟!

ألقت نظرة على شاشة الكمبيوتر :

ـ (ريهام مروان) ، و(فاروق وجدى) ، و ...

قاطعها فى توتر :

ـ (ريهام مروان) ؟!... مطربة الأوبرا ؟!

أومأت برأسها ، فى حركة آلية :

ـ هى نفسها .

تمتم :

ـ عجبًا !

كانت أنفاسها مازالت تتلاحق :

ـ كانت هناك منافسة كبيرة ، بينها وبين (فدوى الرفاعى) ، مطربة الأوبرا الراحلة ، وكان هناك حفل كبير ، سيحضره ملوك ورؤساء ، وكانت مطربة ذلك الحفل ستحظى بشهرة واسعة ، وبزخم إعلامى كبير ... ولقد تنافست هى و(فدوى) رحمها الله على هذا ، خاصة وأنه كان النص يحتم أن تؤدى واحدة منهما فقط أغنية الحفل ، ولقد وقع الاختيار على (فدوى) ـ رحمها الله ـ مما أثار غضب وحنق (ريهام) ... وقبل أسبوع واحد من الحفل ، أصيبت (فدوى) بحالة تسمم غامضة ، وتم نقلها إلى المستشفى على وجه السرعة ، ولكنها لفظت أنفاسها الأخيرة قبل وصولها إلى هناك .

تمتم :

– وهل حددوا منشأ السم ؟!

أجابت فى خفوت :

– بعضهم أضاف قطرة عين إلى مشروبها ، وبكمية تكفى لقتلها ... ولقد تم التحقيق مع (ريهام) ، وأفرج عنها لغياب الأدلة ، وقدمت الحفل بالفعل ، وكان سببًا فى شهرتها .

صمت لحظات :

ـ وأنت كتبت هذا ؟!

قالت فى بطء :

ـ بالطبع .

سمعت رنين هاتف آخر إلى جواره ، فتنحنحت فى توتر :

ـ يمكنك أن تجيب .

قال عبر الهاتف :

ـ إنه (حاتم) .

غمغمت :

ـ ألا تنامان أبدًا !!.

لم تستطع تمييز حديثه مع (حاتم) ، إلى أن عاد إليها ، فى صوت يحمل الكثير من الانفعال :

ـ كنت على حق ... إنها (نوال مهدى) ... لقد تم شنقها فى منزلها .

وعلى الرغم من توقعها هذا ، اتسعت عينا (إلهام) عن آخرهما ...

وكم كرهت لحظتها ، لأوَّل مرة فى حياتها ، أن تكون على حق ...

وعلى نحو غريزى ، أدارت عينيها إلى شاشة الكمبيوتر ...

وحدَّقت فى تلك القائمة على الشاشة ...

وفى اسم مطربة الأوبرا الشهيرة (ريهام مروان) ...

بالتحديد .

* * *

الفصل السادس

تطلع (حاتم) إلى الشريط اللاصق ، حول معصمى (نوال) ، وعلى فمها ، وزفر :

ـ نفس أسلوبه ... يريد ضحاياه عاجزين عن إنقاذ أنفسهم ، مدركين فى الوقت ذاته أنهم سيلقون حتفهم .

نظر (على) إلى ملامح الرعب ، على وجه (نوال) :

ـ يريدهم أن يتعذبوا .

ثم خفض عينيه ، إلى بقعة المياه أسفل الجثة ، التى مازالت تتدلى من عنقها ، وإلى قطع الثلج القليلة ، السابحة فى بقعة المياه :

ـ ومن الواضح أنه من المهووسين بالأفلام الأمريكية .

أدار (حاتم) بصره فى كل مكان ، قبل أن يعود ، ليستقر على الجثة :

ـ لوح ثلج ... لقد عذبها بشدة ، قبل أن تلقى مصرعها .

عضَّ (على) على شفته السفلى :

ـ وسبقنا بخطوة كالمعتاد .

ثم علا صوته ، وامتلأ بالحنق :

ـ على الرغم من أنه لدينا نسخة من قائمته .

التفت إليه :

ـ أتعنى قائمة (إلهام) ؟!

أومأ برأسه :

ـ لم يتجاوزها مرة واحدة، حتى هذه اللحظة .

تطلع إليه (حاتم) لحظات فى صمت ، ثم اقترب من الجثة ، وتطلع إلى قصاصة الصحيفة القديمة ، الملصقة على كتفها :

ـ (إلهام رأفت) مرة أخرى .

أشار (على) بسبَّابته :

ـ وبالترتيب .

مرَّ (حاتم) ببصره على القصاصة مرة أخرى ، ثم التفت إليه :

ـ من التالى إذن ؟!

انعقد حاجبا (على) ، وهو يقول فى توتر :

ـ (ريهام مروان) ... مطربة الأوبرا الشهيرة .

غمغم (حاتم) فى توتر :

ـ حقًّا ؟!

مطَّ (على) شفتيه لحظة :

ـ لقد أمرت بإحاطة منزلها بحراسة سرية ، منذ علمت بمصرع (نوال) .

انعقد حاجبا (حاتم) لحظات مفكرًا :

ـ من أبلغنا بمقتل (نوال) ؟!

تنهَّد (على) :

ـ بلاغ من مجهول .

تمتم (حاتم) :

ـ تغيَّر أسلوبه هذه المرة .

أضاف (على) فى حنق :

ـ من تليفون مكتبى .

ارتفع حاجبا (حاتم) فى دهشة :

ـ تليفون مكتبك ؟!

أجابه فى توتر :

ـ نعم .. عندما تعقَّبت الشرطة رقم الهاتف ، الذى أبلغ عن الجريمة ، وجدوا أنه رقم الهاتف الأرضى لمكتبى .

صمت لحظات مفكرًا :

ـ وكيف وصل إلى هناك ؟!... لا أحد يمكنه أن يدخل مديرية الأمن ، فى ساعة متأخرة من الليل .

أشار بكفه :

ـ إلا لو كان من رجال الشرطة .

انعقد حاجبا (حاتم) فى شدة :

ـ أتعنى أنه قد يكون واحدًا منا ؟!

أجابه فى ضيق :

ـ ولماذا قد ؟!... إنه واحد منا بالتأكيد .

ثم مال نحوه :

ـ وإلا فكيف وصل إلى مكتبى ؟!

تطلع إليه (حاتم) لحظة ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ ليس بالضرورة .

أطلَّ التساؤل من عينى (على) ، فتابع فى حزم :

ـ لو أنه استطاع الوصول إلى صندوق الهواتف الأساسى ، خارج مبنى المديرية ، يمكنه استخدام خط هاتفك الأرضى ، دون الدخول إلى المبنى .

أدار (على) الموضوع فى رأسه ، ثم قال فى حزم :

ـ وفى هذه الحالة ، ستلتقطه كاميرات المراقبة ، المثبتة حول المبنى .

أشار إليه (حاتم) بسبَّابته فى حماس :

ـ بالضبط .

تحرَّكا على الفور ، إلى حيث صندوق الهواتف ، الخاص بمبنى المديرية ، وعندما بلغاه ، قبيل الفجر بقليل ، أشار إليه (على) فى انفعال :

ـ قفل باب الصندوق مكسور .

تمتم (حاتم) :

ـ إنه هو .

مدَّ يده إلى الصندوق ، ولكن (على) هتف به :

ـ لا تفعل .

أرجع يده متسائلًا :

ـ ولماذا ؟!

أجابه ، وهو يخرج هاتفه ؛ للاتصال بالأدلَّة الجنائية :

ـ ربما ترك بصمة ما هنا .

تمتم (حاتم) مستنكرًا :

ـ لم يترك بصمة واحدة ، فى أى مسرح جريمة .

أشار بيده فى حزم :

ـ من يدرى هذه المرة ؟!... ربما .

هزَّ (حاتم) كتفيه ، ولكنه لم يقنع بما يقوله (على) ...

لم يقنع أبدًا ...

* * *

استيقظ (خيرى) على رنين هاتفه المحمول ، فألقى نظرة على المنبه المجاور لفراشه ، وتمتم فى شىء من السخط :

ـ فى هذه الساعة ؟!

ألقى نظرة على الهاتف ، ولم يكد يرى اسم (إلهام) حتى اعتدل :

ـ (إلهام) هل ذهبت إلى العمل مبكرًا اليوم ؟!

أتاه صوتها قلقًا :

ـ أيقظتك ؟!

ابتسم :

ـ لم تجيبى سؤالى .

أجابته على الفور :

ـ لا ... مازلت فى البيت .

انعقد حاجباه :

ـ لماذا إذن ...

كان يريد أن يسألها عن سر اتصالها المبكر ، ولكنه تراجع ، ويبدو أنها أدركت هذا ، ولم تشأ الإشارة إليه أيضًا :

ـ (نوال مهدى) لقيت مصرعها الليلة .

أطار الخبر بقايا النوم من رأسه ، ولكن صوته لم يحمل أى انفعال :

ـ حقًا ؟!

هتفت :

ـ إنه هو .

لم يحاول التعليق ، فتابعت :

ـ قتلها شنقًا ، كما فعلت بابن زوجها .

غمغم ، وأيضًا دون أية انفعالات :

ـ جزاء عادل .

حمل صوتها انفعالًا :

ـ المهم الآن ، الاسم التالى فى القائمة .

انعقد حاجباه :

ـ (ريهام مروان) ؟!

أجابت فى توتر :

ـ اليوم لديها البروفة الكبرى ؛ لحفل الأوبرا السنوى ، وسيمتلئ المكان بالكثيرين ، من عازفين وعمال وفنيين ، ولن يكون من العسير أن يندس ذلك القاتل المتسلسل بينهم .

صمت لحظات ، ثم حمل صوته شيئًا من الصرامة :

ـ ماذا تريدين يا (إلهام) ؟!

أجابت على الفور :

ـ أن نكون هناك .

انعقد حاجباه :

ـ هناك أين ؟!

هتفت :

ـ الأوبرا طبعًا .

تردَّد لحظة :

ـ وماذا لو فعلها المتسلسل هناك ؟!

أجابت فى حماس :

ـ سنكون أوَّل من يعلم .

بدا عصبيًا :

ـ وسأكون أول من تتوجه إليه أصابع الاتهام .

هتفت :

ـ لا تكن سخيفًا ... سنكون معًا ...

فى هذه المرة، تردَّد كثيرًا ...

وطويلًا ...

* * *

« ماذا تقول أيها الضابط ؟!... »

ألقى مايسترو الفرقة السؤال فى استنكار على (على) ، الذى حاول التماسك وضبط أعصابه ، وهو يقول :

ـ لقد شرحنا لك الأمر ، وأوضحنا الخطر ، الذى قد تتعرَّض له (ريهام) ، و ...

قاطعه فى عصبية :

ـ وهل ينبغى أن تعلم هى هذا ، وهى تستعد للصعود على المسرح ؟!

غمغم (حاتم) فى صرامة :

ـ سمعت أنها مجرد بروفة .

مال نحوه فى حدة :

ـ بروفة كبرى ... بروفة شاملة ... بروفة كاملة ... أى مصطلح منهم يمكنك استيعابه ؟!

قال فى عصبية :

ـ الأمر يتعلق بحياتها .

صاح :

ـ وفشلها فى البروفة الكبرى يحتم عدم صعودها إلى المسرح ، فى حفل الغد ... الحفل السنوى ... وهذا ـ بالنسبة لمثلها ـ أسوأ ألف مرة من الموت .

تبادل (على) و(حاتم) نظرة حنق ، ثم قال (على) فى صرامة :

ـ رجالنا سيتواجدون فى الكواليس ، وعلى المقاعد الأمامية ، خلال هذه البروفة الكبرى .

هتف المايسترو مستنكرًا :

ـ رجال شرطة ؟!

أجابه فى حزم :

ـ كلهم سيرتدون ثيابًا مدنية .

مطَّ شفتيه لحظة ، ثم لوَّح بسبَّابته :

ـ ولكن لو حاول أحدهم ...

قاطعه (حاتم) ، وهو يمسك سبَّابته فى صرامة :

ـ لن يفعلوا .

ارتفع من خلفهم صوت (إلهام) :

ـ كيف حالك أيها المايسترو ؟!

التفت إليه الرجل :

ـ آنسة (إلهام) ... توقعت حضورك ، مثل كل عام .

ابتسمت :

ـ كل عام وأنت بخير .

ثم نقلت بصرها بين الضابطين :

ـ أرى أنكم قد تعرفتم ، أنت و(حاتم) بك ، و(على) بك .

مطَّ شفتيه ، مقتضبًا :

ـ تعارفنا .

ورفع عينيه إلى (خيرى) :

ـ وأنت ؟!

أجابه فى توتر :

ـ صحفى زميلها .

رمقه (على) بنظرة شك ، ومال (حاتم) على أذنه :

ـ ابق بعيدًا عن (ريهام) .

التفت إلى (إلهام) فى عصبية :

ـ ألم أقل لك ؟!

تطلعت إلى الضابطين فى حدة :

ـ هل ستعيقان عملنا الصحفى ؟!

هزّ (على) رأسه :

ـ لن نعيق أى عمل صحفى .

وأضاف (حاتم) فى صرامة :

ـ ولكننا سنعيق أى عمل آخر .

احتقن وجه (خيرى) :

ـ الأفضل أن أنصرف .

أشارت إليه :

ـ كوب عصير ليمون من الكافيتريا ، سيعمل على تهدئة انفعالك .

نقل بصره بين الضابطين ، ثم غادر المكان ، فانعقد حاجباها :

ـ ألا تبدو لكما هذه إعاقة ؟!

أجاب (حاتم) فى صرامة :

ـ إننا نؤدى عملنا .

أشار إليه (على) بالاكتفاء بهذا ، وقال :

ـ سنقوم بتفحص المكان وتأمينه ، وسنلتقى جميعًا فى حجرة (ريهام) بعد هذا .

شعرت بالتوتر ، عندما انصرف كل منهما فى اتجاه ، وجلست محاولة الاستمتاع بالبروفة ، ولكن مشاعرها كلها تحوّلت إلى الخوف ، وهى تتابع الضحية المحتملة ، وهى تنشد على المسرح ...

والواقع أنها كانت فى ذلك النهار ، أشبه بملاك يغنى بين السحاب ، حتى أن (إلهام) وجدت نفسها تبكى تأثرًا ، ولم تنتبه إلى هذا ، إلا عندما فوجئت بـ (خيرى) إلى جوارها ، يناولها منديلًا :

ـ جففى دموعك .

التفتت إليه ، وهى تلتقط المنديل :

ـ متى عدت ؟!

حاول أن يبتسم :

ـ لم أغب طويلا، ولكنك كنت مندمجة بكيانك كله .

تمتمت :

ـ هى رائعة اليوم .

تطلع إلى (ريهام) :

ـ ربما هو الغناء الأخير .

قالها ، وأطلق ضحكة قصيرة ، ولكنها عقدت حاجبيها فى حنق ؛ فقد بدن لها دعابة سخيفة ، فى مثل هذا الموقف ...

وفور انتهاء (ريهام) من أداء أغنيتها ، أسرعت (إلهام) مع (خيرى) إلى حجرتها ، حيث كان (على) و (حاتم) يقفان أمامها ، والأخير يقول :

ـ الحجرة مغلقة .

غمغمت (إلهام) :

ـ ستأتى (فتحية) الآن لفتحها .

سألها (على) :

ـ من (فتحية) ؟!

إجابته :

ـ مساعدة (ريهام) الشخصية .

مع قولها ، ظهرت (ريهام) مع مساعدتها ، وما إن رأتهما حتى هتفت :

ـ كلكم صحفيون ؟!

أجابه (حاتم) فى حزم :

ـ هما صحفيان ، أما أنا و (على) فمن رجال البحث الجنائى .

كانت (فتحية) تفتح الباب ، عندما تساءلت (ريهام) ، وهى تدلف إلى حجرتها :

ـ البحث الجنائى ؟!.. ولماذا ؟!

قال (على) ، محاولًا بث الهدوء فى صوته :

ـ لحمايتك .

ضحكت :

ـ حمايتى أنا ؟!... وما الجديد الذى يحتاج إلى الحماية ؟!

كان هناك صندوق صغير ، يحوى زجاجات مياه صغيرة ، من نوع مستورد ، فهمَّ (حاتم) بالتقاط واحدة من الزجاجات الأنيقة :

ـ هل يمكننى ...

أسرعت (فتحية) تمنعه فى صرامة :

ـ كلا .

ثم أبعدت الصندوق عنه :

ـ إنها زجاجات الأستاذة (ريهام) الخاصة .

وأسرعت تفتح البرّاد فى الحجرة ، والتقطت منها زجاجة مياه معدنية ، ناولته إياها :

ـ تفضّل هذه .

ثم التقطت زجاجة صغيرة من الصندوق ، فضّت الغلاف البلاستيكى حول غطائها ، وناولتها لـ (ريهام) ، التى غمغمت :

ـ إنها مياه تحوى تركيبة معدنية خاصة .

تمتم (حاتم) ، وهو يشرب من زجاجته :

ـ لا بأس .

فتحت الزجاجة ، وجرعت نصفها دفعة واحدة ، ثم مسحت شفتيها :

ـ لماذا يحتاج الأمر لحمايتى هذه المرة ؟!

أجابه (على) :

ـ لدينا شكوك ، بأنك معرضة للخطر .

ابتسمت ، مع لمحة من السخرية :

ـ خطر ؟!... هنا ؟!

أسرعت (إلهام) تقول :

ـ هناك أمر لم تنشره الصحف ، وهو ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، عندما احتقن وجه (ريهام) فى شدة ، وجحظت عيناها ، وصدرت من حلقها حشرجة عجيبة ، جعلت (فتحية) تصرخ فى فزع :

ـ ماذا هناك يا أستاذة ؟!

ولكن (ريهام) لم تجب ...
ولم يكن من الممكن أن تجيب ...
لأنها ، وبلا مقدمات ، هوت أرضًا فاقدة النطق ...
وصاح (على) :
- إسعاف ... أحضروا الإسعاف فورًا .

ولكن عينا (ريهام) كانتا متسعتين ، وهناك زبد يسيل من بين شفتيها ، مما لا يدع مجالًا للشك ...
لقد لقيت مصرعها ...
أمام أعينهم ...
جميعًا ...

* * *

قرأ (على) ثلاث أوراق أمامه ، ثم ألقى بها على سطح مكتبه ، وأدار عينيه فى الجالسين فى توتر :
- صندوق مياه (ريهام) الحقيقى ، وجدوه خلف كومة من الإكسسوارات القديمة ، على بعد أمتار من حجرة (ريهام) .
انعقد حاجبا (حاتم) :
- لقد استبدله .
عاد (على) يدير عينيه فيهم :
- الصندوق ، الذى تم استبداله ، تم حقن كل زجاجاته ، بكمية كبيرة من نفس قطرة العين ، التى قتلت (فدوى) .

غمغمت (إلهام) فى حيرة :

ـ ولكن متى وكيف استبدله ؟!

أجابها ، مشيرًا إلى الأوراق أمامه :

ـ قفل حجرة (ريهام) من الطراز القديم ، الذى يمكن فتحه فى سهولة ، و (فتحية) المساعدة اعتادت متابعة (ريهام) من خلف الكواليس ، فى كل مرة .

تساءل (حاتم) :

ـ ولماذا لا تكون هى الفاعل ؟!

أشار (على) بيده :

ـ المتسلسل ترك بصمة واضحة ... قصاصة الصحف ، التى تحوى مقال (إلهام) ، الذى تتهم فيه (ريهام) ، كان ملصقًا أسفل صندوق المياه .

غمغمت (إلهام) :

ـ ثم إنها تعمل مع (ريهام) منذ سبع سنوات تقريبًا ، والكل يمكن أن يشهد بقوة العلاقة بينهما ... إنها تعتبر (ريهام) بمثابة ابنتها .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت :

ـ هل رأيتم كيف انهارت تمامًا ، مع مصرع (ريهام) .

غمغم (حاتم) :

ـ نحن نتحدَّث عن أوبرا .

سألته :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ الكل يجيد التمثيل .

احتقن وجهها فى غضب :

ـ ما هذا ؟!

أشار إليه (على) :

ـ من المستحيل أن تكون هى الفاعل .

ثم مال نحو (حاتم) مضيفًا :

ـ إلا لو كانت هى من نفَّذ كل عمليات القتل السابقة .

التقى حاجبا (حاتم) ، ومطَّ شفتيه دون تعليق ، فى حين التفت (على) إلى (خيرى) ، الذى لم ينبس ببنت شفة ، منذ بدأ هذا الحديث :

ـ أين ذهبت ، عندما خرجت من قاعة الأوبرا ؟!

بدا عليه التوتر :

ـ نفذت نصيحة (إلهام) ، وذهبت إلى الكافيتريا ؛ لتناول كوب عصير ليمون .

ثم اندفع مستدركًا فى عصبية :

ـ وعندى شهود على هذا .

سأله (حاتم) فى صرامة :

ـ هل يمكنهم الشهادة ، بأنك قد عدت من الكافيتريا ، إلى القاعة مباشرة ؟!

احتقن وجه (خيرى) ، ونهض فى حركة حادة ، وفرد ذراعيه أمامه :

ـ لقد سئمت كل هذا ... هل ستضعان الأغلال فى معصمىَّ ، أم يمكننى أن أغادر ؟

بدا الغضب على وجه (حاتم) ، فى حين تراجع (على) فى مقعده :

ـ لن يمنعك أحد من الانصراف .

نهضت (إلهام) بدورها :

ـ وأنا أيضًا .

غادرا المكان معًا ، فغمغم (حاتم) :

ـ هذا الصحفى لا يروق لى .

تمتم (على) :

ـ ولكننا لا نملك أى دليل يدينه .

زفر (حاتم) :

ـ ربما لو بحثنا أكثر ...

مال (على) نحوه :

ـ أو ربما لو استشرنا خبيرًا .

غمغم :

ـ مثل من ؟!

نهض (على) ، من خلف مكتبه :

ـ سيادة العقيد .

لم تمض ساعة واحدة على حديثهما هذا ، حتى كانا يوقفان سيارتهما ، أمام فيلا (منير حلمى) الصغيرة ، و (حاتم) يتمتم :

ـ ألم يكن من اللائق أن نستأذنه أوَّلًا ؟!

قال (على) ، وهو يغادر السيارة :

ـ لو وجدنا الأضواء مطفأة ، سنعود أدراجنا على الفور .

اتجها نحو الفيلا ، ورأيا الأضواء تنبعث من النوافذ ، فارتاحا نفسيًا ، و ...

فجأة ، توقف (على) فى توتر :

ـ باب الفيلا مفتوح .

ألقى (حاتم) نظرة على الباب ، ثم سحب مسدسه فى حذر :

ـ هل تعتقد ...

لم يتم عبارته ، ولكن (على) سحب مسدسه بدوره :

ـ اسمه ليس فى القائمة .

تحرك الاثنان نحو الباب فى حذر ...

وفى هدوء شديد دفعاه ، حريصين على عدم إصدار أى صوت ، وتسللا إلى الداخل ، شاهرين مسدسيهما ، و ...

وفجأة ، أمسك (حاتم) يد (على) فى قوة ، وهو يحدق فى شىء ما أمامه ...

وأدار (على) بصره ، إلى حيث ينظر (حاتم) ...

واتسعت عيناه فى دهشة ...

فما رأياه ، لم يكن من الممكن أن يتوقّعاه ...

بأى حال من الأحوال .

* * *

الفصل السابع

لاذ (خيرى) بالصمت التام ، وانزوى فى ركن المكتب ، الذى يجمع بـ (إلهام) ، التى تطلعت إليه لحظات مشفقة ، قبل أن تتمتم :

ـ الأمر لا يستحق كل هذا .

أدار عينيه إليها فى بطء :

ـ هل ترين هذا ؟!

حمل سؤاله نبرة عتاب ، جعلتها تشعر بالحرج :

ـ لم أعن هذا حرفيًا .

أشار بيده :

ـ لا عليك .

ثم أطلق زفرة حارة :

ـ لقد تقدمت بطلب إجازة .

هتفت فى استنكار :

ـ إجازة ؟!... ولماذا ؟!

حاول أن يسترخى فى مقعده :

ـ ربما يبعدهم هذا عنى .

هتفت :

ـ على العكس .

ثم استدركت، وهى تخفض صوتها :

ـ سيثير شكوكهم أكثر .

صاح فى حنق :

ـ ولماذا ؟!

استدار بجسده كله نحوها :

ـ هل توحى هيئتى بأننى سفاح ؟!

حاولت تهدئته :

ـ الأمر لا صلة له بهيئتك ... إنهم يتصوّرون أنك من يفعل هذا ، من أجل نيل رضاى فحسب .

هتف فى دهشة مستنكرة :

ـ نيل رضاك ؟!... بإراقة نهر من الموت والدم ؟!

هزّت كتفيها ، دون أى تعليق ، فانعقد حاجباه فى شدة :

ـ أى فكر مريض ، أوحى لهم بهذا ؟!

غمغمت :

ـ ليس فكرًا مريضًا .

ثم تنحنحت ، واعتدلت على مقعدها :

ـ يمكنك أن تقول : إنه نوع من اليأس .

تطلع إليها فى دهشة ، فتابعت :

ـ إنهما يواجهان قاتلًا متسلسلًا ، وهذا ليس بالجريمة الشائعة فى (مصر) ، وكل جهودهما فشلت فى إيجاد طرف خيط يقودهما إلى القاتل .

قال فى حنق :

ـ ولم يجدا أمامهما سواى ؟!

هزَّت كتفيها :

ـ وأنا .

اتسعت عيناه فى دهشة :

ـ أنت أيضًا ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة :

ـ من المستحيل أن ترتكب امرأة ، مثل هذه الجرائم .

أشارت بسبَّابتها :

ـ ولهذا اتجهت شكوكهما إليك .

مطَّ شفتيه :

ـ كنوع من العجز .

أضافت فى حزم :

ـ واليأس .

أومأ برأسه متفهمًا :

ـ وهل يمكن أن تقودهما قائمتك إلى شىء ؟!

عادت تهز كتفيها :

ـ كل شىء يسير وفقها ، حتى هذه اللحظة .

خُيل إليها أنها قد لمحت شبح ابتسامة فى ركن شفتيه :

ـ وعلى الرغم من هذا ، لم ينجحا فى الإيقاع به .

تمتمت :

ـ أو حتى كشف هويته .

صمت لحظات ، ثم سأل فى اهتمام :

ـ وماذا عن ذلك العقيد الذى تولى التحقيق فى كل الجرائم على قائمتك ؟!

غمغمت مفكرة :

ـ العقيد (منير حلمى) ؟!

وبدا عليها الاهتمام ، وهى ترفع عينيها إليه :

ـ نعم ... ماذا عنه ؟!

وفى آن واحد ، قفزت فكرة واحدة إلى عقليهما ...

فكرة غريبة ...

ومخيفة ...

للغاية ...

* * *

لدقيقة تقريبًا ، لم يحرك (حاتم) و (على) إصبعًا ، ولم ينبسا ببنت شفة ، وهما يحدِّقان فى العقيد (منير) ، الذى يقف أمام الموقد ، يعد لنفسه كوبًا من الشاى ...

نعم ...

يقف ...

لم يكن جالسًا على مقعده المتحرك كالمعتاد، ولكنه كان يقف على قدميه ...

لقد أثار فيهما هذا الكثير من الدهشة ...

ومن الشك ...

ثم تمتم (على) ، والصوت يخرج من حلقه فى صعوبة :

ـ سيادة العقيد .

انتفض جسد العقيد لحظة ، قبل أن يستند إلى رخام المطبخ ، ويستدير إليهما بكل الدهشة :

ـ كيف دخلتما ؟!

أشار (حاتم) بإبهامه ، إلى ما خلف ظهره :

ـ الباب لم يكن موصدًا .

لهث وهو يبتسم :

ـ فعلها (فضل) مرة أخرى إذن ؟!

كان يسير فى صعوبة ، مستندًا إلى جدار المطبخ ، عندما أسرع إليه (حاتم) يعاونه ، ويسأله :

ـ من (فضل) ؟!

ابتسم ، وهو يجلس بمعاونة (حاتم) ، على مقعده المتحرك :

ـ إنه سكرتير ليلى ... يأتى إلى هنا بعد انتهاء عمله ؛ للإشراف على رعايتى ، وتلبية طلباتى .

استقر فى مجلسه ، فأضاف :

ـ ربما يبتاع شيئًا من بقالة قريبة ، فلم يوصد الباب جيدًا .

ثم أشار بيده :

ـ هذا يدل على أنه سيصل بعد قليل .

تطلع إليه (على) فى توتر :

ـ سيادة العقيد ... أنت تقف على قدميك .

ابتسم :

ـ ومن قال : إننى لا أفعل ؟!

أشار (على) إلى المقعد المتحرك :

ـ تصوّرت أنه ... ربما ...

لم يستطع إتمام العبارة لسبب ما ، فاتسعت ابتسامة (منير) :

ـ أتلقى علاجًا طبيعيًّا ، منذ أكثر من عامين ... والآن يمكننى الوقوف على قدمىّ لبعض الوقت ، ولكن ليس المشى .

كان (على) يريد أن يلقى سؤالًا ما ، ولكن من خلفه سمع صوتًا مندهشًا :

ـ سيادة العقيد !!.

التفت إلى شاب رياضى القوام ، بسيط الملامح ، يحمل أكياسًا من البلاستيك ، عليها اسم سوبر ماركت شهير ، فى نفس الوقت الذى قال فيه العقيد :

ـ لم توصد الباب ، هذه المرة أيضًا يا (فضل) .

تمتم (فضل) فى ارتباك :

ـ غبت عشر دقائق فحسب !!

قال فى صرامة :

ـ فى المرة القادمة ، احرص على أن توصده ، حتى لو كنت ستغيب دقيقة واحدة .

احتقن وجه (فضل) أكثر :

ـ أوامرك يا سيادة العقيد .

نقل (حاتم) و(على) بصريهما ، بين (فضل) والعقيد ، ثم غمغم (على) :

ـ نحتاج إلى استشارتك يا سيادة العقيد .

اعتدل فى اهتمام ، على مقعده المتحرك :

ـ كلى آذان مصغية .

ولساعة تقريبًا ، راح الرجلان يشرحان ويلخصان له كل ما حدث ، منذ أوَّل لقاء لهما معه ، واستمع هو إليهما بكل انتباه ، ثم راح يداعب ذقنه بيده طويلًا ، قبل أن يرفع عينيه إليهما :

ـ القاتل المتسلسل ، حالة لم نشهد مثلها فى (مصر) ... ربما منذ (سعيد مهران)(*) ، ولكنكما ولابد قد درستما شيئًا عن هذا النمط فى أكاديمية الشرطة .

غمغم (حاتم) :

ـ دراسة نظرية فحسب ... فلم نلتق أبدًا بحالة حقيقية .

ابتسم ابتسامة شاحبة :

ـ ها قد التقيتما .

(*) (سعيد مهران) : شخصية وردت فى رواية الكاتب العالمى (نجيب محفوظ) (اللص والكلاب)، وهى لشخص حقيقى ، بالاسم نفسه ، هاجر من (لبنان) إلى (الإسكندرية) وهناك صار لصًا وقاتلًا، له العديد من الضحايا ، حتى إن أخباره كانت تتناولها الصحف يوميًا ، وتم تلقيبه بالسفاح .

هزّ (على) كتفيه :

ـ لسنا محظوظين بهذا .

تنهد (منير) :

ـ ولقد اختار الجرائم غير المحلولة ، التى تابعتها أنا بالذات .

قال (حاتم) فى بطء :

ـ السؤال هو : لماذا ؟!

تطلع إليه ، ثم نقل بصره إلى (حاتم) ، ونظر إليه بعض الوقت :

ـ أنا أطرح هذا السؤال على نفسى ، منذ البداية .

بدا صوت (حاتم) بطيئًا :

ـ شخص ما يتعقب ملف خدمتك ، يا سيادة العقيد .

تراجع (منير) فى مقعده فى توتر :

ـ ولماذا أنا ؟!

لم يحاول أحدهما إجابة السؤال ، وران على ثلاثتهم صمت ثقيل ، قطعه (فضل) ، وهو يتنحنح :

ـ هل سيتناول البهوات العشاء معنا ؟!

التفتا إليه معًا ، كما لو أنهما قد نسيا وجوده ، وتطلعا إليه لحظات ، فى حين تمتم (منير) :

ـ أمازلت تحمل الأكياس ... لماذا لا تضعها فى المطبخ ؟!

بدت الحيرة على الشاب ، فقال (حاتم) فى حزم :

ـ كلا ... لن نتناول العشاء هنا .

غمغم (فضل) :

ـ وماذا عن كوبين من الشاى ؟!

أجابه (على) مبتسمًا :

ـ شكرًا ... ليس لدينا وقت لهذا .

أثار انتباهه كون الشاب متين البنيان ، رياضى القوام ، فسأله :

ـ ما نوع دراستك يا (فضل) ؟!

أجابه ، وهو يتجه نحو المطبخ بحمله :

ـ أنا خريج كلية تربية رياضية .

تمتم (حاتم) :

ـ ولكن هذا العمل ...

هزّ (فضل) كتفيه :

ـ هل لديك ما هو أفضل منه ؟!

نقل العقيد (منير) بصره بين ثلاثتهم ، قبل أن يقول :

ـ لو أنه لديك ما هو أفضل منها ، فلا تخبره ... إنه ذراعى اليمنى ، وأعتمد عليه فى العديد من الأمور .

نقل الرجلان بصرهما ، بين (فضل) والعقيد (منير) ، ثم شدَّ (على) قامته:

ـ اطمئن يا سيادة العقيد ... لن نفعل .

وغادر المكان مع (حاتم) وفى رأسه يدور ألف سؤال ...

وسؤال ...

وسؤال ...

* * *

نقل الطبيب النفسى الشهير (عادل صابر) بصره ، بين (إلهام) و(خيرى) ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ هل تتحدثان عن حالة حقيقية ، أم فرضية صحفية ؟!

حاولت (إلهام) أن تبتسم :

ـ لا هذا ولا ذاك ... إنها شخصية أساسية فى سيناريو فيلم جديد ، نقوم بكتابته ، (خيرى) وأنا ، ونرغب فى أن تكون متقنة .

غمغم ، وهو يعيد نقل بصره بينهما :

ـ قاتل متسلسل ؟!

ثم خلع منظاره الطبى ، ومسح عدستيه فى صمت ، قبل أن يعاود ارتدائه فى بطء ، وكأنه يمنح نفسه وقتًا للتفكير والحسابات ، قبل أن يسأل :

ـ أهناك اسم مقترح للفيلم ؟!

انعقد حاجبا (خيرى) ، فى حين اندفعت (إلهام) :

ـ (المتسلسل) ... اسمه (المتسلسل) .

غمغم (خيرى) :

ـ وهو اسم مؤقت بالطبع ... وقد يتم تغييره فيما بعد .

تمتم الرجل :

ـ آه ... بالتأكيد .

ثم التقط نفسًا عميقًا :

ـ وفق ما ذكرتماه ، هذا القاتل يمتلئ بالغضب والنقمة ، ويحركه دافع قوى للانتقام .

تساءلت فى لهفة :

ـ أتعنى أنه قريب لأحد الضحايا ؟!

أشار بيده :

ـ احتمال كبير .

سأله (خيرى) فى حذر :

ـ وماذا عن باقى الضحايا ؟!

هزَّ كتفيه :

ـ وسيلة تعمية .

تراجعت (إلهام) فى مقعدها ، فى تفكير متوتر :

ـ ماذا تعنى يا دكتور ؟!

مال عبر مكتبه :

ـ لو أنه انتقم لضحيته وحدها ، ربما يمكنهم الوصول إليه ، مع بعض الجهد ، ولكن إذا ما انتقم لعدد كبير من الضحايا ، لن يتمكن أحد من معرفة ، أو حتى استنتاج دافعه الحقيقى .

انعقد حاجباها ، فى تفكير عميق ، فى حين غمغم (خيرى) ، فى تونر ملحوظ :

ـ نظرية معقولة ، ولكن ...

ابتسم الدكتور (عادل) :

ـ من منهم المقصود ؟!... سؤال قد يبدو عسير الجواب ، ولكننى أستطيع تقليل دائرة الاشتباه إلى حد كبير .

ساله فى بطء :

ـ كيف ؟!

تراجع فى مقعده فى ثقة :

ـ لو أنه حذر كفاية ، فلن يرتبط الأمر بأوّل ضحاياه ... سيضع هدفه وسط مجموعة ضحاياه ... ولو أنه شديد الحذر ، فسيضعه فى النهايات ، قبل أن يوقف سلسلة القتل .

غمغمت (إلهام) :

ـ المنتصف أو النهاية ؟!

أومأ برأسه :

ـ بالضبط .

ثم مالت نحوه بكل الاهتمام :

ـ وماذا عن طبيعة القاتل نفسه ؟!... أعنى شخصيته الحقيقية ؟!

لسبب ما أدار بصره بينهما مرة أخرى :

ـ فى حياته الظاهرية سيبدو شخصًا محترمًا تمامًا ، وربما شخص شديد التهذيب ، هادئ إلى حد كبير .

غمغمت فى دهشة :

ـ أهذا ممكن ؟!

عاد يميل نحوها :

ـ تمامًا مثل أفلام السينما القديمة ... سيكون آخر شخص يمكن توقعه .

أدارت الكثير من المعلومات فى رأسها ، وهى تتراجع فى مقعدها فى بطء :

ـ هكذا ؟!

وكعقلية صحفية ، قفزت إلى ذهنها عدة صور ...

وفكرة واحدة ...

فكرة مقلقة ...

إلى حد مخيف ...

***

على عكس توقعاتهما ، بدا (فاروق وجدى) صاحب الشركة العقارية الشهيرة ، أمام (حاتم) و (على) هادئًا ومتماسكًا ، وهو يستمع إليهما :

ـ قاتل متسلسل ، يسعى لقتلى ؟!... أهذا مشهد من فيلم سينمائى أمريكى، أم ماذا ؟!...

انعقد حاجبا (حاتم) فى شدة ، ومطَّ شفتيه فى حنق ، فى حين أطلق (على) زفرة حارة ، محاولًا السيطرة على أعصابه :

ـ تصوَّرنا أنك ستبدى بعض الاهتمام ، عندما نبلغك أن حياتك معرَّضة للخطر ، يا (فاروق) بك .

بدا حازمًا :

ـ حياتى دومًا معرضة للخطر أيها السيدان .

ثم مال نحوهما :

ـ مضمار عملنا له العديد من المنافسين ، وأرباحه التى تصل إلى الملايين ، وفى بعض الحالات إلى المليارات ، دافع قوى ؛ لارتكاب كل أنواع الجرائم ، بما فيها القتل .

تمتم (حاتم) :

ـ ما من شخص منيع !

ابتسم فى ثقة :

ـ هل لاحظتما كم إجراء أمنى عبرتماه ، قبل وصولكما إلىَّ ؟!

لم يجب أحدهما ، فتابع فى زهو :

ـ أدفع ما يقرب من نصف المليون جنيه شهريًا ، لرجال أمن محترفين ، هنا فى الشركة ، وهناك فى الفيلا ، حتى يصبح الوصول إلىَّ مستحيلًا .

قال (على) فى حزم :

ـ عملنا علمنا أن المستحيل كلمة لا وجود لها فى عالم الواقع .

أطلق ضحكة ساخرة قصيرة :

ـ هناك أكثر من مائة كاميرا مراقبة ، ترصد كل حركة فى كل طابق ، وكل حجرة فى هذه الشركة ، وكل حركة عند كل مداخلها ومخارجها ... وهناك عشرون كاميرا فى الفيلا ، ترصد كل المداخل والمخارج ، وكل شبر من الحديقة ، والطريق لمسافة كيلومتر .

تمتم (حاتم) :

ـ وماذا عن الطريق بين الاثنين ؟!

أشار بيده :

ـ سيارة مصفَّحة ، كلفتنى ثلاثة ملايين جنيه ، أستقلها من أمام المصعد ، فى جراجى الخاص ، المؤمَّن بحراسة شديدة ، وحتى داخل حديقة الفيلا .

وتألَّقت عيناه :

ـ لا يوجد سبيل واحد لقاتلكم المتسلسل هذا للوصول إلىَّ .

ثم هزَّ كتفيه :

ـ وليس هناك من سبب قوى يدفعه لمواجهة كل هذا .

رمقه (حاتم) بنظرة استهجان :

ـ وماذا لو أنه لديه دافع قوى؟!

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابه (على) :

ـ منذ ثلاث سنوات انهار مبنى من تشييد شركتك ، ودفن تحته أكثر من ثلاث أسر ، وهناك من يصر على أنك مسئول عن هذا .

احتقن وجهه فى غضب :

ـ لو أنك تقصد تلك الصحفية الحمقاء (إلهام رأفت) ، فقد قاضيتها على المقال الذى اتهمتنى فيه بهذا .

قال (حاتم) فى صرامة :

ـ وسحبت القضية ، قبل شهر واحد .

هتف فى حدة :

ـ بعد أن رجانى رئيس التحرير أن أفعل ، ووعدنى بأن هذا لن يثار مرة أخرى ، على صفحات الجريدة .

ثم تراجع فى مقعده :

ـ ثم إن أصابع الاتهام اتجهت نحو المهندس المسئول عن المبنى ، وتمت محاكمته ، وأدانه القضاء .

قال (على) فى حزم :

ـ الرجل أقسم طوال الوقت أنه برىء ، وأن مواد البناء المستخدمة هى المسئولة عما حدث .

هتف (فاروق) فى عصبية :

ـ كل مجرم يقسم دومًا أنه برىء ، حتى لو تم ضبطه متلبسًا بالجرم المشهود .

قال (حاتم) فى بطء ، وهو يرمقه بنظرة قاسية :

ـ المهندس مات مسمومًا فى السجن .

التفت إليه فى قسوة :

ـ وهل ستتهمنى بهذا أيضًا ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (حاتم) ، وتراجع فى مقعده ، وعيناه تحملان نفس النظرة القاسية ، فأشار إليه (على) بالهدوء وهو يلتفت إلى (فاروق) :

ـ عملنا يقتصر على تحذيرك فحسب ، فى هذه المرحلة يا (فاروق) بك .

قال (حاتم) فى صرامة :

ـ فى المرحلة التالية يمكننا استخراج إذن نيابة لوضع حراسة خاصة حولك .

تبادل معه الرجل نظرة قاسية :

ـ لست بحاجة إليها .

ثم نهض يمد لهما يده :

ـ معذرة أيها السيدان ، لدى أعمال هامة وعاجلة .

وأضاف بلهجة مستفزة :

ـ بملايين .

نهض الاثنان ، وصافحه (على) :

ـ حاول أن تفكر فيما قلناه .

تمتم :

ـ سأفعل .

اتجه (حاتم) نحو الباب مباشرة ، دون أن يصافح (فاروق) ، الذى انعقد حاجباه فى غضب ، فى حين راح (حاتم) يرصد مواضع الكاميرات ، ثم غمغم وهما يغادران الشركة :

ـ لديه عدد كبير من الكاميرات بالفعل .

سأله (على) ، وهما يتجهان نحو السيارة :

ـ هل تعتقد أن المتسلسل سيتجاوزها ؟!

أجابه فى حزم :

ـ كلا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ سيجد وسيلة ...

وانعقد حاجبا (على) فى شدة ...

وبدأ عقله بالفعل رحلة البحث ...

عن الوسيلة .

***

ساحر الكتب

الفصل الثامن

فى شك حذر ، تطلع العقيد (منير حلمى) ، إلى (إلهام) و (خيرى) ، قبل أن يتمتم فى قلق :

ـ وماذا تريد منى الصحافة ؟!

أجابته (إلهام) فى حماس :

ـ نريد رأيك كخبير فيما يفعله ذلك القاتل المتسلسل .

غمغم متوترًا :

ـ متسلسل ؟!

ثم مال نحوهما :

ـ وكيف علمتما بأمر مثل هذا ، ولم أقرأ فى أية جريدة أو مجلة ، عن شىء كهذا ؟!

قال (خيرى) فى حزم :

ـ ربما تم منع النشر فى هذا الأمر لأسباب أمنية ، ولكننا كصحافة ...

قاطعه (منير) بغتة :

ـ هل أعرفك ؟!

تراجع فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا سيادة العقيد ؟!

حمل صوت (منير) توترًا ملحوظًا :

ـ وجهك يبدو لى مألوفًا .

لم يجب (خيرى) ، وهو يتطلع إليه فى دهشة ، فأسرعت (إلهام) بالكلام :

ـ (خيرى) وأنا ، كثيرًا ما ظهرنا فى العديد من البرامج التليفزيونية .

ظلّ يتطلع إلى (خيرى) لحظة :

ـ ربما .

بدا الضيق على وجه (خيرى) ، وهو يقول فى جدية زائدة ، حملت لمحة من التوتر :

ـ سيادة العقيد ... ذلك المتسلسل يتبع ، مثل كل القتلة المتسلسلين ، نمطًا خاصًا ، وهذا النمط يسير بالتوازى مع كل جريمة قمت بالتحقيق فيها ، وأفلت مرتكبها من العقاب .

انعقد حاجبا (منير) :

ـ لقد حققت فى عشرات القضايا ، التى نال فيها مرتكبوها جزاءهم ، والجرائم التى تتحدثون عنها ، لا يزيد عددها عن ست أو سبع جرائم .

بدا صارمًا :

ـ ثمان .

لوّح (منير) بذراعه فى حدة :

ـ فليكن ... كم تبلغ نسبة النجاح إلى الفشل ؟!... هناك ضباط مباحث حاليون ، لم تبلغ نسبتهم هذا الحد ، بل ويحلمون ببلوغه .

شعرت (إلهام) بتوتر الجو ، فاندفعت محاولة التهدئة :

ـ لا أحد يشكك فى تاريخك يا سيادة العقيد ... إننا نتساءل فحسب ، لماذا القضايا التى تناولتها أنت بالذات ؟!

هزّ كتفيه :

ـ لأنه يحتاج إلى نمط .

سألته فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟!

عاد يشير بيده :

ـ القاتل المتسلسل ، كما درسناه فى الأكاديمية ، له دومًا هدف ، ربما لا يعرفه هو نفسه ، ولكنه يقود خطاه ، ويحدد مساره وطريقه ... كأن يسعى دومًا لقتل الشقراوات ، أو الملتحين ، أو كبار السن ، وهذا كمثال فحسب ... ودومًا ما يرتبط هذا بحدث محورى فى حياته، أثر كثيرًا فى مساره .

قال (خيرى) :

ـ مازال السؤال : لماذا قضاياك بالذات ؟!

أشارت إليه (إلهام) بالصمت ، ولكن العقيد أجاب :

ـ ربما هى مجرد مصادفة ... أحدهم أساء إليه ، وأفلت من العقاب ، وهو يسعى للانتقام منه فى كل من يطاردهم .

ثم نقل عينيه إلى (إلهام) :

ـ نفس السبب ، الذى اختارك من أجله .

تراجعت فى دهشة :

ـ أنا .

أجاب فى حزم :

ـ لماذا يرتبط كل الضحايا بمقالات عنيفة كتبتها ، تتهمينهم فيها بالإفلات من العدالة ؟!... لماذا أنت بالذات ؟!

غمغمت متوترة :

ـ لا يجرؤ الكثيرون على كتابة ما أكتبه .

هتف :

ـ لديك نمط أيضًا إذن .

نقل (خيرى) بصره بينها وبينه، ثم أشار بيده فى حزم :

ـ سيادة العقيد... جئنا لنلقى عليك بعض الأسئلة .

« وقد حصلتم على الأجوبة ... »

جاء الصوت من خلفهما صارمًا حازمًا ، فالتفتا إلى صاحبه ، والعقيد (منير) يقول :

ـ هذا (فضل) ... سكرتيرى وذراعى اليمنى .

تطلعا إلى الشاب ، الذى بدا صارمًا غاضبًا ، وغمغمت (إلهام) :

ـ إنه لقاء صحفى فحسب .

تقدَّم نحوهما فى تحفز :

ـ ولماذا ؟!... مادمتما تقولان : إن النشر محظور ، فى هذه القضية ؟!

تبادل (خيرى) و (إلهام) نظرة متوترة ، وتمتم الأول :

ـ ربما فيما بعد ...

قاطعه (فضل) فى صرامة :

ـ عندما يأتى (بعد) هذا ، يمكنكما تحديد موعد للقاء .

ثم مال جانبًا :

ـ والآن تفضلا ... صحبتكما السلامة .

تردَّدا لحظات ، فكرَّر فى لهجة أقرب إلى التهديد :

ـ تفضلا .

همَّا بالخروج ، ولكن (إلهام) التفتت إلى العقيد (منير) :

ـ سيادة العقيد ... هل تعتقد أن ذلك المتسلسل سيواصل اتباع النمط نفسه ، بنفس الترتيب ؟!

صمت لحظة ، ثم حمل صوته كل الحزم :

ـ كلا .

وهنا ، ارتفع صوت (فضل) فى حدة :

سيادة العقيد يحتاج إلى الراحة .

ـ تفضلا ...

قادهما إلى الباب ، وأغلقه خلفهما ، فى شىء من الحدة ، ثم عاد إلى العقيد ، الذى ابتسم فى هدوء :

ـ كنت قاسيًا معهما .

أجاب فى حزم :

ـ جاءوا بدون موعد سابق .

اتسعت ابتسامته قليلًا :

ـ هذا لا يمنع من أنك قسوت عليهما كثيرًا .

تطلع (فضل) إلى عينيه مباشرة :

ـ ليس عليهما وحدهما .

ولثوانٍ ، ظل كلاهما يتطلع إلى عينى الآخر مباشرة فى صمت ...

صمت تام ...

***

راجع مدير الأمن ذلك التقرير ، الذى قدَّمه إليه (على) ، ثم رفع عينيه إليه :

ـ إذن فالرجل يرفض وضع حراسة على شركته وفيلته .

أومأ (على) برأسه :

ـ (فاروق وجدى) رجل مغرور ومتسلط ، وشديد الثقة فى قوته وقدراته ، وهو يحيط نفسه ـ بالفعل ـ فى شركته وفيلته بحراسة أمنية قوية جدًا ، ويرى أنها أكثر من كافية .

تراجع الرجل فى مقعده ، وأمسك ذقنه :

ـ ربما يتم اصطياده ، ما بين شركته وفيلته ، أو العكس .

تنهّد (على) :

ـ يتنقل بينهما فى سيارة مصفحة خاصة ، تم استيرادها بإذن رسمى ، وموافقة أمنية عليا ، وفيها سائق وحارس خاص ، كلاهما يجيدان إطلاق النار ، ولهما خبرات سابقة فى مجال الأمن .

داعب مدير الأمن ذقنه لحظات ، وهو يغمغم :

ـ هل تعتقد أنه لا يحتاج إلى حمايتنا بالفعل ؟!

قال فى سرعة :

ـ ربما .

ثم أضاف :

ـ ولكننى وضعت حراسة سرية على فيلته وشركته ، من باب الاحتياط .

مال مدير الأمن نحوه :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيدفع ذلك المتسلسل إلى استثنائه ؟!

هزّ رأسه :

ـ ليس بهذه البساطة .

سأله :

ـ وماذا يمكن أن يفعل ؟!

بدت عليه علامات تفكير عميق :

ـ سيبحث عن وسيلة ... وسيلة لم تخطر على بال أحد .

ثم أدار عينيه إلى مدير الأمن :

ـ وخاصة أن (فاروق وجدى) هو التالى على القائمة .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، والتى أشارت فيها عقارب الساعة ، إلى الثانية والنصف إلا خمس دقائق تقريبًا ، كانت (حياة مصطفى) ، عارضة

الأزياء الشهيرة السابقة ، وأرملة (محمود الحكيم) ، صاحب أكبر مصانع الأسمنت ، والذى اختفى فى ظروف غامضة ، منذ ثلاثة أعوام ، تستعيد وعيها ببطء ، وتشعر ببعض البرودة ، على الرغم من اعتدال الطقس ...

كان هناك من باغتها فى حجرة نومها فى فيلتها فى حى السادس من أكتوبر ، بعد انصراف خدمها المؤقتين ، وخلود خادمتها النيجيرية للنوم ، وأفقدها الوعى ، بضربة فنية على رأسها ، قبل حتى أن تصرخ ...

وعندما استعادت وعيها ، فوجئت بما هى عليه ...

كانت مقيَّدة فى إحكام ، وجالسة على مقعد خشبى قديم ، على حافة النيل ، فى منطقة شبه مهجورة ، وقدماها فى دلو مملوء بالماء ، ورجل مقنَّع فى زى أسود مخيف يصب شيئًا ما فى ذلك الدلو ...

وبسرعة ، أدركت ماهية ذلك الشىء ...

واتسعت عيناها فى رعب ...

فذلك الشىء تعرفه جيدًا ...

إنه الأسمنت ...

والجوال الذى يحمله ذلك المقنَّع ، يحمل اسم شركة زوجها الراحل ...

وفى رعب ، هتفت :

ـ ماذا تريد ؟!

لم يحاول حتى إجابتها ، وهو يواصل صب الأسمنت فى الدلو ، فصرخت :

ـ قل لى ماذا تريد ؟!... سأعطيك كل ما تطلبه .

مرة أخرى ، تجاهل صراخها تمامًا ، وهو يتراجع قليلًا ، ويراقبها بلا انفعال ...

وفى سرعة ، أخذ الأسمنت المحيط بساقيها يتماسك ...
وصار ثقيلًا ...
فصرخت بكل قوتها مستنجدة ...
صرخت ...
وصرخت ...
وصرخت ...
ولم يستجب أحد ...
وهنا فقط ، أدركت أنه لا جدوى من الصراخ ...
لن يأتى أحد لنجدتها ...
فالمكان مهجور تمامًا ...
ولا مبالاة المقنَّع بصراخها يؤكد هذا ...
الأسوأ أن الأسمنت المحيط بساقها تجمَّد تمامًا ...
ولم تعد تستطيع حتى تحريك إصبع قدمها ...
وفى انهيار كامل راحت تبكى ...

وفى هدوء عجيب ، ودون أية انفعالات ، أخرج ذلك المقنَّع من جيبه قصاصة صحف قديمة ، وراح يثبتها على حجر قريب ، فهتفت به منهارة :

ـ أخبرنى فقط ماذا تريد ؟!

لم يلتفت إليها ، وهو يثبت قصاصة الصحف فى عناية ، فغمغمت :

ـ لو أن أحدهم دفع لك لتقتلنى ، فأنا مستعدة لدفع الضعف ... بل الضعفين .

انحنى المقنَّع يتأكَّد من تصلب الأسمنت ، وبدأت هى تشعر بخدر فى ساقيها ، وبرعب بلا حدود ، من تجاهله لكلماتها :

ـ سأدفع كل ما تريد ... كل حتى ما تحلم به .

رأته يخرج هاتفها من جيبه ، فهتفت فى أمل أخير :

ـ لو أنك ستطلب فدية ، فلا داعى أبدًا ... قلت لك : إننى سأدفع كل ما تطلبه .

طلب رقمًا من هاتفها ، ثم سمعته يقول فى صرامة :

ـ أريد الإبلاغ عن جريمة قتل ... القتيلة (حياة مصطفى) ... تم إغراقها عمدًا ...

اتسعت عيناها فى رعب ، وصرخت بكل قوتها :

ـ النجدة ... أنقذونى ... سيقتلنى .

كان يمليهم العنوان فى هدوء على الرغم من صراخها ، ثم التفت إليها ، وألقى هاتفها فى النيل ، فانهارت فى رعب :

ـ لا ... لا تقتلنى ... أرجوك .

تطلع إليها لحظات فى لا مبالاة ، ثم دفع مقعدها بقدمه فى قوة ...

وانطلقت من حلقها صرخة رعب هائلة ، قبل أن ترتطم بالماء ...

ومع ثقل الأسمنت حول ساقيها ، غاص جسدها كالحجر ...

وبنفس الهدوء الشديد غادر المقنّع المكان ...

واختفى فى ظلمة الليل ...

كما لو أنه جزء منه ...

الجزء الأكثر ظلامًا وسوادًا ...

ألف مرة ...

* * *

وقف (حاتم) و (على) صامتين ، مع نسمات الفجر الأولى ، وهما يشاهدان الغوّاصين يخرجون جثة (حياة) من قاع النيل ، ومازالت علامات الرعب والألم مرسومة على وجهها ..

وفى عمق ، تنهَّد (حاتم) :

ـ دلو الأسمنت ، كما كانت (المافيا) تفعل بخصومها قديمًا(*) .

تمتم (على) فى أسى :

ـ أخبرتك أنه عاشق للسينما الأمريكية حتمًا .

أدار (حاتم) عينيه إلى قصاصة الصحف على الصخرة :

ـ (إلهام رأفت) مرة أخرى .

قال (على) ، وهو يبعد نظره عن الجثة :

ـ إنه يتبع نمطه .

التفت إليه :

ـ ليس هذه المرة .

تطلع إليه فى تساؤل ، فتابع فى حزم :

ـ لقد خالف الترتيب فى القائمة .

انعقد حاجبا (على) :

ـ هذا صحيح .

راح يفكر لحظات :

ـ ربما أدرك استحالة الوصول إلى (فاروق وجدى) فانتقل إلى من يليه فى القائمة .

(*) حقيقة .

مطّ (حاتم) شفتيه ، وهزّ رأسه :

ـ ليس هذا نمطه ... من الواضح أنه لا يفتقر للذكاء وسعة الحيلة ، فقد نجح فى الوصول إلى كل ضحاياه حتى الآن ، ولم يفشل مرة واحدة .

تمتم (على) :

ـ لقد باغتهم .

أشار بيده :

ـ ولكنه وجد دومًا سبيلًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ أتذكر ما فعله فى الأوبرا .

أومأ (على) برأسه :

ـ كانت حيلة بارعة .

ثم هزّ كتفيه :

ـ ولكن (فاروق وجدى) ، بكل ما يحيط به من حراسة ..

ابتسم (حاتم) :

ـ أتذكر ما تعلمناه ... لا يوجد جهاز أمنى أو نظام أمنى منيع بنسبة مائة فى المائة ... هناك دومًا وحتمًا ثغرة ما .

أشار (على) بسبّابته :

ـ نظريًا ، ولكن العثور على تلك الثغرة يحتاج إلى عبقرى .

أجابه فى سرعة :

ـ أو خبير .

صمت (على) لحظات مفكرًا ، ثم تمتم :

ـ أو خبير ... أنت على حق .

صمت (حاتم) لحظات ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ وفى قضيتنا هذه ، من يمكن أن يكون الخبير ؟!

نظرا إلى بعضهما البعض فى صمت ، وحملت عيونهما الكثير ... الكثير جدًا ...

* * *

لم تكد (إلهام) تلمح (خيرى) ، وهو يدلف إلى مكتبهما المشترك ، حتى هتفت :

ـ أين كنت ؟!... هل بلغتك آخر الأخبار ؟!

غمغم :

ـ استغرقت فى النوم بعض الوقت .

ثم أشار بيده :

ـ لم أعد أحظى بقدر كافٍ من النوم ، منذ بعض الوقت .

لم تتوقف عند عبارته ، وهى تقول فى انفعال :

ـ (حياة مصطفى) ، أرملة (محمود الحكيم) قتلت أمس .

خيل إليها أنه لم يبال كثيرًا :

ـ حقًا ؟!... كيف ؟!

أجابته فى انفعال :

ـ ذلك المتسلسل ، وضع قدميها ليلة أمس فى دلو من الأسمنت ، وألقى بها فى النيل .

غمغم متثائبًا :

ـ دلو من الأسمنت ؟!... أظننى شاهدت هذا فى أحد الأفلام الأمريكية القديمة .

تركت مكتبها ، واتجهت نحوه :

ـ كأنه بهذا يحل لغز اختفاء زوجها .

رفع عينيه إليها :

ـ كيف ؟!

أجابته فى حماس :

ـ عندما اختفى (محمود الحكيم) ، جاء فى شهادة أحد العاملين فى شركته ، أنه ربما قتله أحدهم ، وأخفى جثته ، وسط صبة أسمنت ، وأكّد أنه هناك مواقع عديدة مكشوفة للشركة ، يمكن فيها فعل هذا ، دون أن يشعر أحد ...

أشار بيده :

ـ أذكر أنه فى حينها ، لم يبال أحد بهذه الشهادة ، حتى بعد أن أشرت أنت إليها فى مقالك ؛ لأن الفكرة بدت لهم خيالية ، أكثر من اللازم .

هتفت :

ـ ذلك المتسلسل يقتل دومًا ، وفقًا لنمط أساسى ... شخص ارتكب جريمة ، وأفلت من العقاب .

غمغم :

ـ وكتبت أنت مقالًا ، تتهمينه فيه ، أو تشيرين إلى هذا .

أكملت :

ـ المهم أنه فى كل مرة ، يقتل ضحيته بالوسيلة نفسها ، التى ارتكبت بها جرمها ، واستخدام الأسمنت ، أو دلو الأسمنت ، فى قتل (حياة) ، إشارة إلى الوسيلة نفسها ، التى استخدمتها فى القتل .

غمغم :

ـ قلت إنها استخدمتها فى إخفاء الجثة فحسب .

أشارت بسبَّابتها فى حزم :

ـ أو فى القتل .

هزَّ كتفيه ، فتابعت فى انفعال :

ـ ربما كان زوجها حيًّا أو مخدرًا ، عندما صبت عليه الأسمنت .

التقى حاجباه فى شدة :

ـ تستحق ما أصابها إذن !

ثم رفع عينيه إليها فى ظفر :

ـ هل قنعت الآن ، أن ما يفعله ذلك المتسلسل ، هو العدل بعينه .

انعقد حاجباها :

ـ مازال مخالفًا للقانون .

اعتدل فى حزم :

ـ ومحققًا للعدالة .

التقت نظراتهما بعض الوقت :

ـ سنظل نختلف فى هذا .

هزَّ كتفيه :

ـ يومًا ما ستعترفين .

أجابته فى صرامة :

ـ محال .

ثم عادت إلى مكتبها ، وراحت تراجع تلك القائمة ، التى لم يتبق منها سوى اثنين ...

(فاروق وجدى) ...

و (أشرف فراج) ...
فقط ...

***

« (أشرف فراج) ... صاحب توكيل (الفراج) للسيارات الفاخرة ... »

قالها (حاتم) ، وهو يتابع تلك القائمة ، فأضاف (على) ، وهو يجلس أمام اللاب توب :

ـ منذ ثلاثة أعوام تقريبًا ، كان له شريك يدعى (يوسف سليمان) ، عندما لقى مصرعه برصاصة فى الرأس ، أطلقها عليه مجرم مجهول خلال محاولة سرقة ... ووفقًا لبنود عقد الشركة بينهما ، آل التوكيل كله للشريك الثانى (أشرف فراج) ، الذى أصبح المشتبه فيه رقم واحد ، باعتباره المستفيد الأوّل من مصرع (يوسف) ، ولكن أحدًا لم يستطع إثبات هذا ... لا بصمات ، ولا شهود ، ولا سلاح جريمة ، وهكذا أفلت من العقاب ، وفاز بالتوكيل ، الذى يساوى الملايين .

غمغم (حاتم) ، وهو يتثاءب :

ـ المفترض أنه الأخير على القائمة .

تمتم (على) :

ـ لو استثنينا (فاروق وجدى) .

تثاءب (حاتم) مرة أخرى :

ـ ربما أدرك عجزه عن الوصول إليه .

تطلع إليه (على) لحظة، ثم حمل صوته تعاطفًا :

ـ (حاتم) ... لماذا صرت تبدو مرهقًا دومًا ؟!

ابتسم (حاتم) :

ـ سل نفسك ... ذلك المتسلسل يرتكب جرائمه فى المعتاد بعد منتصف الليل ، وأنت توقظنى مع الفجر ، وعقلى المجهد من التفكير فى الأمر ، لا يسمح لعينىَّ بالراحة لوقت كافٍ .

ضحك :

ـ صدقنى ... هذا حالنا جميعًا .

ثم مال نحوه :

ـ ما رأيك لو تذهب لتنام بعض الوقت ، وسأذهب أنا لرؤية وتحذير (أشرف) هذا .

غمغم ، وهو يتثاءب فى إرهاق :

ـ لا ... سنذهب معًا .

ابتسم (على) وربَّت عليه :

ـ هيا ... لا تكابر ... الوقت مازال مبكرًا ، وسأذهب لتحذير الرجل فحسب ، وليس لإلقاء القبض على المتسلسل ... هيا ... اذهب .

ثم أضاف ، وهو يرتدى سترته :

ـ وعد فى السادسة .

نهض (حاتم) ، مغمغمًا :

ـ أشكرك .

التقط (على) نفسًا عميقًا ، مع ابتسامة واسعة :

ـ صدقنى ... سيفيد هذا كلينا كثيرًا .

وكان يعنى كل حرف نطقه ...

تمامًا .

***

الفصل التاسع

لأكثر من ساعة كاملة ، جلس العقيد (منير) صامتًا شاردًا ، حتى أن (فضل) تنحنح ، محاولًا جذب انتباهه ...

ولكن هذا لم يحدث ...

لقد ظلّ العقيد صامتًا شاردًا ، وكأنه لا يشعر حتى بوجوده ...

كان مستغرقًا فى التفكير إلى حد كبير ، مما دعا (فضل) إلى الجلوس صامتًا ، مكتفيًا بالتطلع إليه ، حتى سمعه يغمغم :

_ كان ينبغى أن أدرك هذا ، منذ وقع بصرى عليه .

تساءل (فضل) فى حيرة :

_ من هذا ؟!

التفت إليه (منير) ، وكأنما انتبه لوجوده فجأة ، وتطلع إليه لحظات ، ثم تمتم :

_ لا عليك .

دفع مقعده المتحرك نحو المائدة ، التى وضع عليها اللاب توب ، وراحت أصابعه تعمل على أزراره فى سرعة ...

وفى انتباه واهتمام ، تطلع (فضل) إليه ، وحاول رصد ما يبحث عنه ..

كان يراجع قضية قديمة ...

ومع حركة أصابعه ، ظهرت صورة على الشاشة ...

صورة رجل لم يره (فضل) من قبل قط ...

ولكن العجيب أنه بدا مألوفًا ...

إلى حد كبير ...

أما العقيد (منير) ، فقد تراجع فى مقعده فى بطء ، متطلعًا إلى الصورة ، قبل أن يغمغم :

ـ هذا يحسم الأمر .

سأله (فضل) فى حذر :

ـ من هذا يا سيادة العقيد ؟!

التفت إليه :

ـ خالد .

حمل صوته كل الحيرة :

ـ خالد من ؟!

أدار العقيد مقعده إليه :

ـ المتسلسل .

انعقد حاجباه فى شدة :

ـ هل حددت هويَّته ؟!

غمغم :

ـ بالتأكيد .

كان (فضل) يهم بإلقاء سؤال آخر ، عندما مال العقيد نحوه :

ـ هل يمكننى أن أطلب منك خدمة ؟!

أجابه فى حماس :

ـ بالتأكيد .

وكان بالفعل على استعداد لتنفيذ أى شىء ، يطلبه منه العقيد ... أى شىء ...

بلا استثناء ...

***

« (أشرف بك فرّاج) ؟!... »

تطلع (أشرف) فى تساؤل ، إلى ذلك الذى ألقى عليه السؤال ، قبل أن يجيب فى حذر :

- أنا هو .

أبرز الرجل أمامه بطاقة رجل شرطة ، وهو يقول :

- هل تسمح لى بالدخول ... أريد إلقاء بعض الأسئلة .

توتر (أشرف) :

- بشأن ماذا ؟!

أعاد الرجل البطاقة إلى جيبه فى صرامة :

- هل تسمح لى ؟!

تطلع إليه لحظة ، ثم أفسح الطريق :

- تفضل .

دلف الرجل إلى المكان ، وأغلق (أشرف) الباب خلفه :

- معذرة ... أنا وحدى هنا ... الأولاد جميعهم فى المصيف ، وأنا فى الواقع فى انتظار زائر ، و ...

قاطعه الرجل ، دون أن يلتفت إليه :

- زائرة .

صدمت الكلمة (أشرف) ، فتراجع خطوة ، مغمغمًا :

- ماذا تعنى ؟!

ظلَّ الرجل يوليه ظهره ، وإن بدا صوته صارمًا :

ـ (سلوى محسن) ... مضيفة فندق (اللوتس) .

بهت (أشرف) :

ـ من أين جئت بهذا ؟!

التفت إليه فى بطء ، مع ابتسامة لا توحى بالارتياح :

ـ أعرف كل شىء عنك ، يا (أشرف) بك .

هتف :

ـ ماذا تريد منى ؟!

تجاهل سؤاله تمامًا :

ـ منذ ثلاث سنوات ، وبالتحديد فى الثالث من أغسطس ، أطلقت النار عمدًا على رأس شريكك (يوسف سليمان) ، وجعلت الأمر يبدو أشبه بمحاولة سرقة فاشلة .

هتف فى رعب :

ـ أنت مخطئ .

تابع ، وكأنه لم يسمعه :

ـ صديقتك ... أو عشيقتك (سلوى محسن) ، شهدت زورًا ، بأنك كنت فى لوبى الفندق وقت وقوع الجريمة ، ولأنه هناك فاسد ساعدك ، تم محو بصمتك من موقع الجريمة ، مما ساعدك على الإفلات من العقاب .

حدَّق (أشرف) فيه لحظات ، فى ذهول مذعور ، قبل أن ينتفض جسده كله فى عنف وعصبية :

ـ أنت مخطئ .

ظل الرجل شديد الهدوء :

ـ هل تعلم أنك أسهل عملية واجهتنى ، يا أشرف بك ؟!

قالها ، وهو يخرج مسدسه ، ويصوبه إلى الرجل ، الذى تراجع فى ارتياع :

ـ ماذا تفعل ؟!

ثم صرخ فى ارتياع :

ـ أنت لست رجل شرطة ... من المستحيل أن تكون كذلك ... أنت زائف .

فى سرعة مدهشة ، ركله الرجل ، ودفعه نحو أريكته الوثيرة ، ثم جثم على صدره بركبته :

ـ حانت لحظة العدالة ، يا (أشرف) بك .

بدأ (أشرف) صرخة استنجاد ، ولكن ذلك الرجل كتمها بوسادة ، من وساند الأريكة ، دفعها فى وجهه ، وهو يدس فوهة مسدسه فيها ، على الرغم من مقاومة (أشرف) المستميتة ، و ...

وأطلق النار ...

كتمت الوسادة صوت الرصاصة ، وانطلقت فيها موجة من الدم ، وجسد (أشرف) يتراخى تمامًا ...

وفى هدوء شديد ، نهض الرجل ، وتطلع إلى جثة (أشرف) فى لا مبالاة ، قبل أن يخرج من جيبه قصاصة صحف قديمة ، وضعها فوق الوسادة ، التى مازالت على وجه الجثة ...

وفى هدوء أكثر ، التقط هاتف (أشرف) ، وطلب رقم شرطة النجدة ...

وأبلغ عن الجريمة ...

وأيضًا بلا أية مشاعر ...

* * *

على الرغم من انصراف (فضل) ، منذ بعض الوقت ، ظلَّ العقيد يجلس أمام اللاب توب ، متطلعًا إلى تلك الصورة ...

كانت تعيد إلى ذاكرته أحداثًا قديمة نسبيًا ...

أحداث تعود إلى ما قبل تقاعده بعدة أشهر ...

أحداث لا يمكن أن تفارق ذاكرته أبدًا ...

انتبه فجأة ، إلى حركة غير طبيعية داخل فيلته الصغيرة ، فهتف فى توتر :

ـ (فضل) ... هل عدت ؟!

لم يسمع جوابًا ، فتضاعف التوتر فى أعماقه ، وراح يدفع مقعده ، نحو حجرة نومه ، وهو يتطلع حوله فى حذر ، حتى بلغ الكومود الصغير إلى جوار سريره ، ففتحه فى بطء وحذر ، وهو يواصل التلفّت حوله ، والتقط مسدسه من داخله ، ثم عاد يدفع مقعده فى حذر ، و ...

وفجأة ، وجده أمامه ...

ذلك المقنَّع ، صاحب الزى الأسود المخيف ، يقف وسط الصالة ، متطلعًا إليه فى هدوء ...

وللوهلة الأولى ، انتفض جسد العقيد فى عنف ...

ولكنه كمحترف سابق ، استعاد تماسكه فى سرعة ، فرفع فوهة مسدسه ، يصوبها نحو المقنَّع ، الذى ظل على هدوئه :

ـ لقد شاهدت الصورة على اللاب توب .

أشار إليه بمسدسه فى صرامة :

ـ إنه يشبهك كثيرًا ... أليس كذلك ؟!

ظلّ المقنّع صامتًا ، دون أى تعليق ، فلوّح هو بمسدسه :

ـ انزع قناعك .

كان يتوقع بعض المقاومة أو الممانعة ، ولكن المقنّع نزع قناعه فى سهولة ، وألقاه أرضًا :

ـ كنت سأنزعه ، حتى لو لم تطلبها ؛ فلم تعد هناك حاجة إليه .

تطلع (منير) إليه بعض الوقت :

ـ شعرت بهذا ، منذ وقع بصرى عليك، واليوم تيقّنت .

غمغم المتسلسل :

ـ منذ حداثتى أخبرونى أننى أشبهه كثيرًا .

التقط (منير) نفسًا عميقًا :

ـ تكاد تكون نسخة طبق الأصل منه .

ظلت ملامحه جامدة :

ـ ربانى بعد والدى ، وكان أكثر من أحببت فى حياتى .

تمتم (منير) :

ـ هذا واضح .

ثم انعقد حاجباه :

ـ ولكن لماذا قتلت كل هؤلاء ؟!

أجابه فى هدوء :

ـ كلهم أفلتوا من جرائم قذرة ارتكبوها .

ثم قسا صوته ، وحملت ملامحه مقتًا شديدًا :

ـ بسببك .

تمتم العقيد فى بطء :

ـ بسببى أنا ؟!

أجابه فى شراسة :

ـ لأنك فاسد ، وربما أكثر فسادًا منهم ... كل قضاياهم تولّيتها ، وكلها أخفيت فيها أدلة إدانتهم ، أو أخفيت ما يدينهم ، من أجل حفنة من المال .

انعقد حاجبا العقيد (منير) فى شدة :

ـ من الواضح أنك شديد الذكاء .

وصوّب مسدسه إلى رأسه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولكن الرصاص لا يفرق ، بين أمخاخ العباقرة ، وأمخاخ الأغبياء ... يخترقها كلها بالوسيلة نفسها .

وضغط زناد مسدسه ...

وسمع صوت ارتطام الإبرة بالمسدس ...

ولكنه لم يسمع صوت رصاصة ...

وفى هدوء شديد ، وقف المتسلسل يتطلع إليه ، وهو يحاول إطلاق النار مرة ...

وثانية ...

وثالثة ...

وعندما أدرك عبث المحاولة ، فتح المتسلسل كفه ، الذى يقبض فيه على عدد من الرصاصات ، وهو بادى الهدوء :

ـ هل تبحث عن هذه ؟!

حدَّق العقيد فى الرصاصات ، التى تركها المتسلسل تتساقط من يده على الأرض ، وهو يتجه نحوه فى بطء :

ـ هل تصوَّرت أننى يمكن أن أمنحك فرصة ؟!

غمغم فى يأس :

ـ أنا رجل قعيد ، و ...

وصل المتسلسل على نصف المتر منه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وماذا ؟!

مع آخر حروف كلماته ، هوى على رأس العقيد بهراوته الصغيرة ...

وسقط الرجل فاقد الوعى أمامه ...

ولكنه لم يسقط عن مقعده المتحرك ...

وعلى الرغم من أنه لم يكن يرتدى قفازيه ، ألقى المتسلسل الهراوة الصغيرة أرضًا فى لا مبالاة ، ثم دفع العقيد نحو المطبخ ...

وفى هدوء ، نزع خرطوم الغاز ، ثم تراجع إلى الصالة ، وأخرج من جيبه شمعة ، وضعها على المائدة ، وأشعلها ...

وبعدها غادر المكان فى هدوء ...

بلا قناع ...

وبينما كانت سيارته تبتعد ، دوى الانفجار ...

بمنتهى العنف ...

* * *

على الرغم من محاولاتها المتتالية ، لم تنجح (إلهام) أبدًا فى الاتصال بزميلها (خيرى) ...

وبعد عدة محاولات يائسة ، اتصلت برئيس القسم :

ـ أستاذ (مكرم) ... هل تعرف أين (خيرى) الآن ؟!

أجابها عبر الهاتف :

ـ ألم يخبرك ؟!

سألته فى توتر :

ـ يخبرنى عن ماذا ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ لقد حصل على إجازة لأسبوعين كاملين .

هتفت فى خفوت :

ـ وما شأن الإجازة بعدم إجابته على اتصالاتى ؟!

قال فى بساطة :

ـ الرجل فى إجازة ، وينشد الراحة حتمًا ...

ثم سألها فى اهتمام :

ـ ولكن فيم تريدينه ؟!

أجابته فى انفعال :

ـ ذلك المتسلسل ، ارتكب جريمة جديدة .

سألها فى اهتمام :

ـ أتعنين أن انفجار فيلا العقيد (منير حلمى) ، جزء من ...

قاطعته فزعة :

ـ فيلا (منير حلمى) ؟!... هل انفجرت ؟!

حمل صوته الكثير من الدهشة :

ـ كيف لا تعلمين ؟!... الخبر يأتى فى صدارة نشرات الأخبار ، منذ ساعة تقريبًا !!

غمغمت فى دهشة :

ـ كيف ؟!

أجاب :

ـ يقولون : إنه تسرب غاز ، و ...

قاطعته فى عصبية :

ـ كنت أقصد كيف لم أعلم ؟!.

صمت لحظة :

ـ المفترض أن لديكم تلفازًا كبيرًا فى صالة التحرير ...

قاطعته مرة أخرى :

ـ لست هناك ... أنا فى سيارتى ... فى طريقى إلى موقع الجريمة .

تساءل :

ـ جريمة أخرى ؟!

أجابته فى ضجر :

ـ إنه (أشرف فرّاج) ، صاحب توكيلات (الفرّاج) ... ذلك القاتل المتسلسل قتله برصاصة فى الرأس .

سمعت الدهشة فى صوته :

ـ رصاصة فى الرأس ؟!... ليس هذا من شيمته ... إنه يبتكر دومًا وسائل جديدة ؟!

قاطعته فى توتر :

ـ أستاذ (مكرم) ، اعذرنى لاضطرارى إنهاء المكالمة ، فقد وصلت .

* * *

« مقالك مرة أخرى ، يا أستاذة (إلهام) ... »

قالها (على) فى توتر ، وهو يراقب رجال الأدلة الجنائية ، الذين يقومون بعملهم فى المكان ، فأشاحت بوجهها عن الجثة فى توتر :

ـ كان آخر اسم فى القائمة .

أومأ برأسه :

ـ (فاروق وجدى) فقط ، أفلت منه .

تمتمت :

ـ حتى الآن .

صمتت لحظة :

ـ وماذا عن العقيد (منير) ؟!

التفت إليها فى بطء :

ـ اسمه لم يرد فى القائمة .

أجابت فى حزم :

ـ ولكنه العامل المشترك ، بين كل الضحايا .

صمت لحظات مفكرًا :

ـ أنت أيضًا كذلك .

قالت فى سرعة :

ـ كتبت مقالًا فحسب ، وهو تولى التحقيق فى كل قضايا القائمة .

انعقد حاجباه فى شدة :

ـ التقرير المبدئى قال : إن تسرب الغاز هو السبب

قالت فى سرعة :

ـ وماذا أدى إلى تسرب الغاز ؟!

التفت إليها :

ـ ما الذى ترمين إليه يا أستاذة (إليه) ؟!

قالت فى توتر :

ـ الحفيد (منير) كانت له يد فى إفلات كل [illegible]

ازداد انعقاد حاجبيه :

ـ اتهام رهيب دون دليل .

لوّحت بيدها :

ـ ليس اتهامًا، وإنما اقتراح .

تمتم :

ـ اقتراح يسىء إلى تاريخ الرجل كله .

صمتت لحظة ، ثم تمتمت فى خفوت :

ـ وماذا لو أنه اتهام صحيح ؟!

تطلع إليها لحظات فى صمت ، [illegible] ، فحاولت محاولة الالتفاف حول الحديث الأساسى :

ـ لماذا أنت وحدك اليوم ... أين حضرة الضابط [illegible] ؟!

غمغم :

ـ فى واحدة .

هزَّت كتفيها :

ـ إنها المرة الأولى التى أجد فيها أحدكما وحده .

حاول أن يبتسم :

ـ كل منا بحاجة إلى الراحة .

ثم سألها :

ـ وماذا عن زميلك ؟!

أطلقت ضحكة مصطنعة :

ـ فى راحة أيضًا .

حاولت أن تصمت ، ولكنها عجزت عن هذا ، فتردَّدت لحظة :

ـ هل ستدرس اقتراحى ؟!

التفت إليها بنظرة حادة ، فتراجعت فى قلق :

ـ لن تخسر شيئًا .

ظلَّ يتطلع إليها لحظة ، ثم تمتم فى تفكير :

ـ ربما .

ارتفع رنين هاتفه فى هذه اللحظة ، فالتقطه فى سرعة :

ـ ماذا هناك ؟!

أتاه صوت زميله :

ـ هناك شاب هنا ، اسمه (فضل دسوقى) ، يقول إنه من طرف سيادة العقيد (منير حلمى) رحمه الله .

انعقد حاجباه :

ـ من طرفه ؟! ... هل يعلم بما حدث ؟!

اجابه زميله :

ـ نعم ... وهو منهار تمامًا .

صمت لحظة ، ثم سأله :

ـ وماذا يريد ؟!

قال زميله فى اهتمام :

ـ يقول : إن سيادة العقيد ، رحمه الله ، يعرف من هو ذلك المتسلسل .

كان قوله مفاجئًا ، حتى أن (على) هتف :

ـ يعرف المتسلسل ؟!

التقطت (إلهام) الكلمة ، فتساءلت فى لهفة :

ـ من يعرف المتسلسل ؟!

تجاهلها تمامًا ، وهو يسأل زميله :

ـ ولماذا لم يحاول إبلاغى هاتفيًا ؟!

حمل صوت زميله كل الانفعال :

ـ أنت تعرفه ... لم يكن رحمه الله يؤمن بنقل المعلومات الهامة ، عب

لاك الهاتف .

غمغم فى عصبية :

ـ كان يمكنه إرسالها فى بريد إليكترونى .

بدا زميله ضجرًا :

ـ لم يفعل .

هتف به :

ـ أعطنى (فضل) هذا .

مضت لحظة ، ثم سمع صوت (فضل) منهارًا :

ـ قتله يا (على) بك ... قتله لأنه تعرَّفه .

سأله (على) بكل توتره :

ـ من هذا ؟!

هتف (فضل) :

ـ لقد حصل على صورة خاله ، الذى مات فى السجن ، وهو نسخة طبق الأصل منه ... وكان ينتقم له .

بدا عصبيًّا :

ـ من هو ؟!

أجابه (فضل) فى أسى :

ـ سأرسل إليك الصورة .

مضت لحظة ، ثم استقبل هاتف (على) الصورة ...

ومالت (إلهام) برأسها ، لتلقى نظرة عليها ...

واتسعت عيونهما فى ذهول ...

فالصورة كانت بالفعل شبيهة للغاية بشخص يعرفه كلاهما ...

شخص لم يتصوَّرا لحظة ، أنه يمكن أن يكون قاتلًا ...

أو متسلسلًا ...

أبدًا .

* * *

ساحر الكتب

الختـــام

تطلع (فاروق وجدى) إلى (حاتم) فى استخفاف ، وحملت شفتاه ابتسامة شبه ساخرة :

ـ كم تدهشنى انعدام ثقتك فى نظام أمنى وحراستى يا حضرة الضابط ، على الرغم من أنك اختبرت هذا بنفسك .

أجابه (حاتم) فى حزم :

ـ أمن شركتك وفيلتك ممتاز بالفعل ، ولكننا تعلمنا فى أكاديمية الشرطة أن نظام الأمن المنيع تمامًا ، هو من المستحيلات .

اتسعت ابتسامة (فاروق) الساخرة :

ـ وماذا لو لم يكن كذلك ؟!

أجابه ، مشيرًا بيده :

ـ لابد وأن أختبر هذا بنفسى .

هزَّ كتفيه :

ـ ولقد فعلت .

بدا صارما :

ـ ليس تمامًا .

صمت (فاروق) لحظات ، متطلعًا إليه ، قبل أن يميل نحوه :

ـ (حاتم) بك ... هل تذكر أنك أنت نفسك ، لم يمكنك أنت وزميلك الوصول إلى هنا ، مع مسدسيكما ؟!

أجابه فى هدوء :

ـ ولهذا أتيت بدونه هذه المرة .

اعتدل فى ثقة :

ـ حسنًا فعلت .

شدَّ (حاتم) قامته :

ـ الليلة سأختبر كل خطوات نظامك الأمنى .

غمغم فى حذر :

ـ كيف ؟!

أشار بيده :

ـ سأرافقك فى كل خطوة ، حتى تدخل فيلتك .

صمت (فاروق) لحظات ، وكأنما يدير الأمر فى رأسه ، قبل أن يقول محذرًا :

ـ ستخضع لكل إجراءات الأمن ... لن تكون هناك استثناءات ، لمجرد أنك رجل شرطة .

عاد يشد قامته :

ـ هذا بالضبط ما أعول عليه .

وابتسم (فاروق وجدى) فى ثقة ...

منتهى منتهى الثقة ...

* * *

« إنه خاله بالفعل !!... »

نطق (على) العبارة فى توتر ، قبل أن يتابع ، و(إلهام) تقف إلى جواره ، متطلعة إلى الصورة على شاشة الكمبيوتر ، والدهشة لم تفارقها بعد :

ـ (أحمد إبراهيم عبد الغفار) ... مهندس معمارى ، تم اتهامه فى انهيار عقار ، أنشأته شركة (فاروق وجدى) ، وعلى الرغم من إصراره على براءته ، وعلى أنه تسلم العقار بعد صب الأساسات بالفعل ، إلا أن أوراق الشركة قالت العكس تمامًا ، فأدين الرجل ، وانهارت روحه المعنوية ، ومات بعد أقل من عامين فى السجن .

تمتمت فى صعوبة :

ـ هذا كان دافعه إذن .

التفت إليها فى أسى :

ـ بل هذا كان غرضه .

هزَّ رأسه فى حزن ، فغمغمت :

ـ ولكن لو أن (فاروق وجدى) هو الهدف الرئيسى ، فلماذا كل من سبقوه ؟!

تنهَّد :

ـ كلهم كانوا فى نظره مجرد صور مستنسخة من الشخص الذى تسبب فى سجن أحب الناس إليه ، وموته فى السجن ، وأفلت هو من العقاب .... كلهم كانوا بالنسبة إليه (فاروق وجدى) .

تمتمت مبهوتة :

ـ كلهم ؟!

ثم اعتدلت :

ـ كيف أفلت منه (فاروق) نفسه إذن ؟!

صمت لحظات مفكرًا ، ثم التفت إليها :

ـ ربما لم يفلت بعد .

غمغمت فى حيرة :

ـ ولكنك تقول : إنه يحيط نفسه بحراسة شديدة .

اعتدل فى حزم :

ـ كل نظام أمنى ، مهما بلغت شدته ، يحوى حتمًا ثغرة ما .

قالت فى خفوت :

ـ وهل سيجد تلك الثغرة ؟!

صمت لحظة ، ثم قال :

ـ ما لم يكن قد وجدها بالفعل .

رفعت عينيها إليه ، وخفض عينيه إليها ...

والتقت نظراتهما ...

و ...

« ما رأيك يا (حاتم) بك ؟!... »

نطقها (فاروق وجدى) فى زهو واثق ، وهو يجلس مع (حاتم) فى المقعد الخلفى لسيارته المصفحة الخاصة ، فغمغم (حاتم) :

ـ كل شىء يسير على ما يرام بالفعل .

هتف ملوحًا بيده :

ـ أرأيت ؟!

ثم أشار إلى المقعدين الأماميين مزهوًا :

ـ الجالس إلى اليمين ضابط عمليات خاصة سابق ، أما من يقود السيارة ، فقد كان عضوًا فعَّالًا فى فريق مكافحة الإرهاب ... هل يمكنك تأمين حراسة أفضل من هذه ؟!

تحسَّس (حاتم) الدبوس الذهبى الصغير ، فى رباط عنقه :

ـ هل تعتقد أنت ، أن هذا يكفى .

ابتسم فى غرور :

ـ ماذا تعتقد أنت ؟!

فى سرعة عجيبة ، وبلا مقدمات ، انطلقت قبضة حاتم ، تضرب مؤخرة عنق ضابط العمليات الخاصة السابق فى عنف شديد ، ثم انتزع دبوسه الذهبى من رباط عنقه ، وضرب به عنق السائق ، فتفجَّرت منه نافورة من الدم ، وأفلت عجلة القيادة ، وهو ينهار على الجانب ، وارتطم بكتف الضابط السابق ، الذى فقد وعيه تمامًا ...

واختل توازن السيارة فى عنف ، و (فاروق) يهتف فى ارتياع :

ـ ما هذا ؟!

هوت قبضة (حاتم) على فكه كالقنبلة ، والسيارة ترتطم بجانب الطريق ، وتميل فى عنف ، ثم تنقلب على جانبها ...

وأثبت (حاتم) أنه من المستحيل وجود جهاز أمنى أو نظام أمنى يخلو تمامًا من الثغرات ...

من المستحيل تمامًا ...

* * *

خفض (على) هاتفه عن أذنه ، وهو يلتفت إلى (إلهام) فى توتر :

ـ سيارة (فاروق وجدى) تعرَّضت لحادث ، فى طريقها من الشركة إلى الفيلا ، ولم يجدوا داخلها سوى السائق صريعًا ، والحارس الخاص فاقد الوعى .

تساءلت ، وحلقها يجف :

ـ وماذا عن (فاروق) نفسه ... و (حاتم) ؟!

أشار بيده :

ـ لم يكونا فى السيارة ، على الرغم من أن الكل أكَّد ، أن (حاتم) قد اصطحب (فاروق) وترك سيارته ... ولقد عثر عليها الرجال ، ووجدوا مسدسه فى التابلوه .

تساءلت مبهوتة :

ـ أين ذهب به إذن ؟!

التقى حاجباه :

ـ لو تقمَّصنا فكره الانتقامى ، فربما ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، فسألته فى لهفة :

ـ ربما ماذا ؟!

التفت فى سرعة ، إلى جهاز الكمبيوتر ، وراحت أصابعه تعمل عليه فى سرعة :

ـ سيكون هناك حتمًا .

هتفت فى صوت شاحب مبحوح :

ـ أين ؟!

لم يلتفت إليها :

ـ فى مسرح الجريمة .

***

« أين أنا ؟!... »

غمغم بها (فاروق وجدى) ، وهو يستعيد وعيه ، فسمع صوت (حاتم) ، يقول فى صرامة قاسية :

ـ ألا يمكنك تمييز المكان ؟!

فتح عينيه عن آخرهما ...

ولكنه لم يكن يستطيع تمييز شىء ...

لقد كان راقدًا على الأرض ، وسط موقع مهجور ، توزع فيه بعض الحطام والركام ، على نحو عشوائى ...

ودون انتظار جوابه ، أكمل (حاتم) ، بنفس الصرامة القاسية :

ـ (أحمد إبراهيم عبد الغفار) ... هل تذكر الاسم ؟!

شحب وجه (فاروق) وخاصة عندما انتبه إلى أنه مقيَّد المعصمين والكاحلين ، وتمتم فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ المهندس (أحمد عبد الغفار) ... ماذا عنه ؟!

ازداد صوت (حاتم) قسوة :

ـ عندما انهار مبناك ، هنا بالتحديد ، لفَّقت بعض الأوراق ، حتى يتحمَّل هو المسئولية ... زوَّرت تاريخ تسلمه العمل ، وتاريخ إسناد العملية إليه ، وعاونك المفاسد (منير حلمى) ، ربما مقابل عدة آلاف ، أو حتى مليون أو مليونين ...

وبتعاونكما الشيطانى ، ألقيتما خالى ـ رحمه الله ـ فى السجن ، فانهار ومات سجينًا .

اتسعت عينا (فاروق) فى رعب :

ـ أنت ؟!... أنت ابن شقيقة المهندس (أحمد) ؟!

أشار (حاتم) إلى الموقع :

ـ فسادك أدّى إلى انهيار العقار ، الذى دفن عدة أسر تحت أنقاضه أحياءً .

هتف ، محاولًا التملص من قيوده :

ـ سأعوضك ... سأعوضك بسخاء .

بصق عليه فى امتعاض :

ـ عن ماذا ؟!.. عن سجن خالى ، وضياع سمعته وشرفه ، أم عن كل من حمل ذنب دفنهم أحياء ، وهو برىء منه .

هتف فى انهيار :

ـ سأمنحك كل ما تطلبه .

أطلق (حاتم) تنهيدة ملتهبة ، والتقط جاروفًا كبيرًا من جواره :

ـ شىء واحد ، يمكن أن يعوضنى .

انتبه (فاروق) فى تلك اللحظة فقط ، إلى أنه يرقد إلى جوار حفرة كبيرة ، بطول جسده تقريبًا ، فاتسعت عيناه فى رعب هائل ، وصرخ :

ـ لا ... لا تفعلها ... لا .

حمل صوت (حاتم) مقت وشراسة الدنيا كلها :

ـ دفنتهم أحياءً ، والعدل يقتضى بأن تلقى المصير نفسه .

صرخ بكل قوته ، وهو يقاوم قيوده فى وحشية :

ـ لا ... النجدة ... لا .

ولكن (حاتم) دفعه بقدمه ، وأسقطه داخل الحفرة ، التى يبلغ عمقها ثلاثة أمتار تقريبًا ...

وصرخ (فاروق) أكثر ...

صرخ ...

وصرخ ...

وصرخ ...

ومع صرخاته ، راح (حاتم) يهيل عليه التراب ، حتى غمر جسده تمامًا ...

وهنا فقط ، توقفت صرخاته ...

وأغلق (حاتم) عينيه فى ارتياح :

ـ الآن يمكنك أن ترقد فى سلام يا خالى .

راح يهيل المزيد من التراب ، على الرغم من حتمية موت ضحيته ، حتى تفعت فجأة صفارات سيارت الشرطة ، وغمرت أضواؤها المكان ، وهى تحيط بمنطقة ، وقفز (على) من إحداها :

ـ (حاتم) ... لقد عرفنا كل شىء .

لم يلتفت (حاتم) إليه ...

ولم يتوقف حتى عن ملء الحفرة بالرمال ، وهو يقول :

ـ لا فارق .

هبطت (إلهـام) مـن واحـدة من سيارات الشرطة ، تراقب الموقف فى اهتمام وانفعال ، وقلبها يخفق فى قوة ، و(على) يهتف :

ـ لا داع للمقاومة يا (حاتم) ... أنت مريض ، والطب النفسى سيثبت هذا ، و ...

قاطعه فى حدة :

ـ لا تحاول ... لم يعد المصير يعنينى .

أجابه فى مرارة :

ـ ولكنه يعنينى أنا .

غمغم (حاتم) :

ـ لم تعد هناك فائدة .

ثم أفلت الجاروف من يده ، وأخرج شيئًا من جيبه ، استدار به فى حركة حادة ، نحو رجال الشرطة ...

وهنا ، انطلقت رصاصاتهم نحوه ...

وصرخ (على) ، ملوحًا بذراعيه :

ـ لا تطلقوا النار ... توقفوا .

وأطلقت (إلهام) صرخة عالية ...

ولكن الأوان قد فات ...

لقد تلقى جسد (حاتم) ما يكفيه من الرصاصات ...

وهوى ...

سقط فى نفس الحفرة ، التى دفن فيها (فاروق وجدى) حيًا ...

وفى مرارة هتف (على) ، وهو يعدو نحو الحفرة :

ـ لماذا فعلتموها ؟!

بلغ الحفرة ، وتطلع إلى جثة (حاتم) ، وما يمسكه فى يده ، وهو يضيف فى مرارة :

ـ لقد كان هاتفه .

ولكن أحدًا لم يستمع إلى عبارته ...

على الإطلاق ...

* * *

حمل صوت (إلهام) كل الانفعال ، وهى تستقبل (خيرى) فى المكتب ، بعد عودته من إجازته :

ـ أين كنت ؟!... لماذا لم تجب اتصالاتى ؟!

هزّ كتفيه مبتسمًا :

ـ تركت هاتفى هنا .

ثم لوّح بكفه :

ـ وإلا فكيف يمكن اعتبارها إجازة ؟!

تنهّدت :

ـ أنت على حق .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ وهل كنت تتابع الأخبار ؟!

جلس خلف مكتبه :

ـ بالطبع .

راح يرتب بعض الأوراق على مكتبه ، ثم سألها مبتسمًا :

ـ كتبت مقالًا عن هذا طبعًا .

أدارت شاشة اللاب توب نحوه :

ـ بالطبع .

قرأ على الشاشة بخط كبير [مصرع المتسلسل] بقلم (إلهام رأفت) ...

هزَّ رأسه :

ـ إذن ، فكما بدأ الأمر ينتهى .

سألته :

ـ ماذا تعنى ؟!

استرخى فى مقعده :

ـ الأمر بدأ وانتهى بمقالات زوجتى المستقبلية (إلهام رأفت) .

تخضَّب وجهها بحمرة الخجل ، ولكنها لم تعترض ، فابتسم هو فى هدوء ...

وكل ما كان ينقص مشهدهما فى تلك اللحظة ، هو كلمة ما تحتل مكانًا متميزًا وسط المشهد ...

كلمة النهاية .

***

(تمت بحمد الله)

الرحاب

١٥ / ٧ / ٢٠١٨

رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٢٤٧٤

روايات مصرية

32

د. نبيل فاروق

المتسلسل

ظاهرة لم تشهد (مصر) مثلها من قبل ...

قاتل متسلسل، يرتكب جرائمه بلا رحمة ...

وكل ضحاياه أشخاص ارتكبوا أيضًا جرائمهم بلا رحمة ...

وكلهم أفلتوا من العقاب ...

ولكن من هو هذا المتسلسل ؟!...

ولماذا يرتكب جرائمه بكل هذه البشاعة ؟!...

هل هو منتقم، يتصوّر نفسه مبعوث العناية الإلهية، لتحقيق العدالة ؟!...

أم إنه مجنون مختل ؟!...

أم ماذا ؟!.

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن

19350

ساحر الكتب